

ثُمَّ وَقَفَاتِهَا لِأَيَّتِي  
مَعَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهَا

إعداد

أسامة بن محمد بن قاسم الكلبي اليمني



حقوق الطبع  
ممنوحة لكل مسلم

بشروط عدم الزيادة أو النقصان

الطبعة الأولى

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٣ م

للتواصل مع الباحث عبر البريد الإلكتروني

[Okalady38h@gmail.com](mailto:Okalady38h@gmail.com)

## إضاءات بين يدي الوقفات

**قال الله الخالق الحكيم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾ (إبراهيم: ١٠)**

❁ قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «وكان من أسباب دخول هؤلاء

[التتار] ظهور الإلحاد، والنفاق، والبدع» [مجموع الفتاوى (١٣/١٨٠)]

❁ وقال المؤرخ الأمريكي الشهير ول ديورانت: «إن أعظم قضايا عصرنا

ليست الشيوعية مقابل الفردية، ولا أوروبا مقابل أمريكا، ولا حتى الشرق مقابل الغرب، ولكن أعظم قضية تتمحور حول سؤال: هل يستطيع الإنسان أن يحيا دون

الله؟» [الوجه الحقيقي للإلحاد (ص ٢١)]

❁ وقال هنري برجسون: «لقد وُجِدَتْ وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم

وفنون وفلسفات، ولكنه لم توجد قَطُّ جماعة بغير ديانة»

[الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان (ص ٨٤)]

❁ الملاحدة واقعون في الجهل المركب، لأنهم يجهلون ما في الواقع،

ويجهلون جهلهم هذا.

﴿ إن الواجب المحتم على كل مخلص لدينه وأمته أن يبادر إلى الإسهام في توعية الأجيال الناشئة بحقائق الإيمان، وتربيتها على تعظيم شعائر الإسلام، وعلى الهدى والخير، ومحبة الله ورسوله، وتوثيق صلتها بذلك في نفوس أبناء الأمة وبناتها؛ لتحقيق قيمها وآثارها في نفوسهم وأخلاقهم، وتحصينهم بالوسائل الإيمانية والفكرية الملائمة لهم. والعلماء الربانيون في الذورة العليا من هذه المسؤولية، والوالدان والأسرة المسلمة والمربون والمعلمون وجميع أولياء الأمور كلُّ مسؤول في موقع اختصاصه ﴾

**[ المجمع الفقهي الإسلامي - الدورة الحادية والعشرون (٢٤-٢٨/١/١٤٣٤هـ الموافق ٨-١٢/١٢/٢٠١٢م) ]**

اللهم اهْدِ كلَّ ملحقٍ وملحقةٍ فإنيهم للبعثون

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

### أما بعد:

فلا يخفى على متابع ما يشهده عالمنا العربي والإسلامي مؤخراً من موجة إلحاد، ظهرت على الساحة في خطاب استفزازي يتميز بالاستعلاء والتحدي، ويتتهج التأثير من طرف واحد بالمشهد والصورة والكلمة والعاطفة، على حين فترة من ضعف الأمة وازدياد تفرقها، وزعزعة أمنها واضطراب حالها، فاستشرفت من استشرف لها، وأصيب جمع من شبابنا - ذكوراً وإناثاً - بهزات منها عنيفة زلزلت ما عندهم من ثوابت، فسقط من سقط، واضطرب من اضطرب، وتشكك من تشكك، وبرز على إثر ذلك ظاهرة إلحادية غالية، تتنكر للأديان، وتتجاوز الفطرة، وذابت تعادي الأخلاق والفضائل بذريعة (المعرفة بأي ثمن!)، وجعلت تشغل المسلمين بإغراقهم في صراعات الفكر والهوية عن إصلاح أحوالهم، واستشرف مستقبلهم.

وغدا أصحابها - ضمن أجنداث محددة - يصطنعون ديناً جديداً يهدم كل خير وصلاح باسم العقل والعلم! والمعرفة والمنطق! محاولين نفخ العدمية في المادية لجعلها الحقيقة المطلقة، مُنكرين وجود الله، مؤلهين لهوى الإنسان، فاقدين الغاية من الوجود، ليعيشوا بفلسفة متمردة مُعجّدة الغرابة والشذوذ في كل

شيء، وتنبؤ كل ما تعارف واتفق عليه البشر من المحاسن والفضائل والآداب، وتذهب غارقة في الانحلال والضياع = (ملكوت الإنسان !!).

فليت الملحدين نَفُوا وسكتوا؛ ولكن اعتقدوا واعتنقوا ثم برزوا ونقدوا، فأتوا بدين وضعي جديد - ولم يُصب من نفى دِينِيَّتَهُ - يُبدي رأيه في الله والكون والحياة والعلم، وأرادوا من الناس أن يدخلوا فيه طائعين أو كارهين ! إنه دين الإلحاد الجديد: (لا إله، والحياة مادة !!!).

**وفي الورقات التالية مجموع مختصر يكشف هذه الظاهرة الشاذة، ويبين حقيقة حروفها المتشائمة ! سيقف القارئ معها الوقفات الثمان التالية :**

- ١- دواعي الحديث عن هذا الموضوع.
  - ٢- ما هو الإلحاد ؟
  - ٣- أسباب الوقوع في الإلحاد.
  - ٤- مَنْ يقف وراء الإلحاد ؟
  - ٥- الإلحاد مخاطرُ سُوءٍ وآثارُ فسادٍ.
  - ٦- كيف نعالج الإلحاد ونواجهه ؟
  - ٧- شبهتان والجواب عليهما.
  - ٨- نداء إلى كل ملحد ومتأثرٍ بالإلحاد.
- فإلى بيانها، وبالله التوفيق والسداد، ومنه العون والإمداد.



# الوقف (١)

دَوَاءٌ عَجَبِيٌّ الْحَدِيثُ عَنْهُ الْإِلَهِيُّ نَادٍ وَهَيْلُهُ







**إن تناول موضوع الإلحاد ، والكلام على الملحدين ، وأثر ذلك على الفرد والمجتمع ، وما يتبع ذلك ؛ دعت إليه دواعٍ، وانتظمتها أسباب ، فمن ذلك :**

١- أهم سبب للكلام في هذا الموضوع هو تأثير كثير من الشباب والفتيات في عالمنا العربي والإسلامي بظاهرة الإلحاد التي ازدادت في الآونة الأخيرة، لا سيما في فترة ما سُمِّي بثورات الربيع العربي وما أعقبها من تشكل ما يُسمى بـ مناخ كسر القواعد (ثوابت الدين والأخلاق).

٢- الظهور التبشيري للإلحاد في وسائل الإعلام المختلفة، وانتشاره عبر منصات التواصل الاجتماعي في ظل العولمة والثورة الرقمية (مراكز وتحالفات، وروابط واتحادات، ونواد ومؤسسات، وتجمعات وشبكات، وأفلام وقنوات، وأغان وإذاعات، وكتب وروايات).

٣- بيان حقيقة الإلحاد، وإظهار مباينته للعلم، ومعاكسته للفطرة، ومخالفته للعقل، ومعادته للمنطق، وتزويره للحقائق، وتزييفه للأفكار، وأنه أفكار منحوتة من الهوى لا عُلقَة لها بالعقل، ومرض في القلوب مقلوب ليس إلا.

٤- الوقوف أمام ظاهرة الإلحاد، وكشف مَنْ يقف وراءه، ودفع عادية دعائه عن الإسلام وأهله، واستنقاذ البشرية من ضلاله وتمويهاته، في (معركة أفكار) عمَّ شرها، وطار في شرق الأرض وغربها شررها.

٥- بيان كمال دين الإسلام وشموليته، وأنه لا تعارض بين ما يدعو إليه مع العقل

والعلم.

٦- إظهار قدرة الإسلام على حَلِّ مشاكل البشرية، وتخليصها من حيرتها وتخبطها في مذاهب الإلحاد ونظرياته الضالة.

٧- المساهمة في تثبيت أهل الإيمان، والتسبب في هداية مَنْ تأثر بشبهات الملاحدة من الفتيات والفتيان، وتجديد الوعي بفقهِ السنة والقرآن، وبالله المستعان، وما توفيقى إلا بالله.

اللهم اهْدِ كلَّ ملحق وملحقة فإنيهم لا يعلمون



الوقف (٢)

مَا هُوَ إِلَّا كَالنَّارِ؟





تستعرض هذه الوقفة كلمة الإلحاد ومعناها في استخداماتها الثلاثة:

اللغوي والشرعي والعصري، وبيان العلاقة بينها.

**أولاً: الإلحاد في اللغة<sup>(١)</sup>: هو الميل والانحراف عن الشيء،** تقول: لَحَدَّ وَأَلْحَدَ عن الشيء أي مال وانحرف، ومنه أُخِذَ اللحد في القبر، وقالوا: قبر مُلْحَدٌ ومَلْحُودٌ، لأنه أَمِيلٌ عن وسطه إلى جانبه.

ثم استعير معنى الميل هذا إلى غيره، مثل:

١- **حَرَفَ الشَّيْءَ وَنَاحِيَتَهُ** وذلك لميله عن الوسط.

٢- **المَلْجَأُ**: يقال: التحد الرجل إلى كذا إذا التجأ إليه، والمَلْجَأُ يقال له: الملتحد، لأن اللاجئ يميل إليه.

٣- **الظلم**: ومنه قولهم: ألحد في الحرم، إذا ترك القصد ومال إلى الظلم.

٤- **الإلزاء**: يقال: ألحد بفلان، أزرى به وقال عليه باطلاً، مائلاً عن الحق فيه.

ويأتي الإلحاد أيضاً بمعنى:

٥- **الجدال**.

٦- **المرء**.

٧- **والاعتراض**.

(١) انظر فعل (لحد) في كل من [العين ٣/ ١٨٢ - ١٨٣] للخليل بن أحمد الفراهيدي، (تهذيب اللغة ٤/ ٢٤٣ - ٢٤٤) للأزهري، (الصحاح ٢/ ٥٣٢) للجوهري، (المصباح المنير ٢/ ٥٥٠) للفيومي، (القاموس المحيط ص ٣١٧) للفيروزآبادي، (تاج العروس من جواهر القاموس ٩/ ١٣٤ - ١٣٧) للزبيدي، (أساس البلاغة ٢/ ١٦١) للزمخشري.

وهذه المعاني كلها موجودة في أهل الإلحاد ويتصفون بها، فإنهم لما ألدوا بميلهم عن صراط الله المستقيم، وجعلوا الإلحاد ملتحدهم الذي إليه لجؤوا؛ ظلموا وجاروا وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، وماروا في ذلك واعترضوا حتى أزرؤا بأهل الإيمان، فمن مستقل ومستكثر.

**ثانياً: في اصطلاح الشرع:** الانحراف عن صراط الله الذي بعث الله به نبيه محمداً

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشتى أنواع الانحراف: العقدي، والقولي، والعملي.

ويكون كلياً، وقد يتجزأ، ويكون كفراً، ودون ذلك، فيكون:

- ١- في الله سبحانه
  - ٢- وفي أسمائه وصفاته.
  - ٣- وفي آياته الكونية والقولية.
  - ٤- وفي شريعته بترك طاعته، واقتراف معصيته، وتأويل نصوصه.
- وكل هذا يدخل في مسمى الإلحاد.

فمن الأول: ما ذكره الله عن فرعون طاغية مصر بقوله: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ

لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي

لَأَظُنُّهُ كَذِبًا... ﴿ (غافر: ٣٦-٣٧)، فهذا إلحاد في وجود الله، وهو النوع المصطلح

عليه بالإلحاد الكلي.

ومن الثاني قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ

فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَبُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ (الأعراف: ١٨٠)، والإلحاد فيها " تارة يكون

بجحد معانيها وحقائقها، وتارة يكون بإنكار المسمى بها، وتارة يكون بالتشريك بينه وبين غيره فيها " (١).

ومن الثالث قوله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (فصلت: ٤٠)، قال العلامة الطاهر بن عاشور التونسي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: " والآيات تشمل الدلائل الكونية المتقدمة في قوله: ﴿قُلْ أَيَّتَكُمُ التَّكْفُورُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ (فصلت: ٩) وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَلِيلٌ وَالنَّهَارُ﴾ (فصلت: ٣٧) الخ، وتشمل الآيات القولية المتقدمة في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ (فصلت: ٢٦)، فالإلحاد في الآيات مستعار للعدول والانصراف عن دلالة الآيات الكونية على ما دلت عليه، والإلحاد في الآيات القولية مستعار للعدول عن سماعها، وللطعن في صحتها، وصرف الناس عن سماعها " (٢).

ومن الرابع قول الحق **جَلَّ جَلَالُهُ** في حرمة المسجد الحرام: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالإِلْحَادِ بِظُلْمٍ نُدُقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الحج: ٢٥) فمجرد إرادة المعصية قبل فعلها في هذا المكان الذي جعله الله حرماً آمناً يعتبر إلحاداً، ويلحق صاحبه عذاب أليم.

(١) [الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعطلة] لابن قيم الجوزية (١/ ٢١٧) ت - علي بن محمد الدخيل الله - ط / دار العاصمة بالسعودية] وانظر للفائدة [القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی] لمحمد بن صالح العثيمين (ص ٢٥ - ٢٧) ط / مدار الوطن بالسعودية].

(٢) [التحرير والتنوير] ٢٤ / ٣٠٤ ط / الدار التونسية للنشر بتونس].

والتعبير بلفظ ﴿بِالْحَادِ﴾ يشعر بقباحة وشناعة وعِظَمِ ذَنْبِ الْمُرِيدِ لذلك وإن كان صغيراً، قال الإمام القرطبي رَحْمَةُ اللَّهِ: "وهذا الإلحاد والظلم يجمع جميع المعاصي من الكفر إلى الصغائر، فلعظم حرمة المكان توعد الله تعالى على نية السيئة فيه، ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب عليها إلا في مكة" (١)

وجملة الأمر: أن كل مائلٍ عن الصراط المستقيم بشهوة أو شبهة، أو رافضٍ لشرع الله وحكمه يسمى ملحدًا، قَلَّ انحرافه أو كَثُرَ، صَغُرَ أو كَبُرَ، فيكون إلحاده كلياً، وهو الكفر المطلق، ويكون دون ذلك، فالإلحاد على هذا يشمل "إنكار وجود الله، ووجد حقائق الغيب، والتكذيب بشرع الله إما في ثبوته .. وإما في صدقه .. وإما في معقوليته .. وإما في عدله. فالغاء عقوبة القصاص إيماناً بأنها ظالمة أو غير معقولة نوع من أنواع الإلحاد، وإنكار وجود الجن نوع من الإلحاد، والمطالبة بالتححرر من قيود الشرع نوع من الإلحاد، وتفسير حقائق الغيب بما ينافي خبر خالق الغيب نوع من الإلحاد" (٢).

وكذا الدعوة إلى خلط الأديان (الإسلام واليهودية والنصرانية) فيما سُمِّي مؤخراً بالدين الإبراهيمي نوع من الإلحاد، وتجويز الردة بحجة إدخالها في نطاق (لا إكراه في الدين) نوع من الإلحاد، وفصل الدين عن الدولة نوع من الإلحاد بل من أسوأ

(١) [الجامع لأحكام القرآن] ١٢ / ٣٦ - ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش - الناشر: دار الكتب المصرية بمصر].

(٢) كما في كتاب [لَنْ تُلْحِدَ] لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري (ص ١٣) ط / مطبوعات تهامة بالسعودية].



أنواعه، والقول بأن اليهودية والنصرانية أديان سماوية نوع من الإلحاد، والغلو في الدين نوع من الإلحاد، والتفريط في ثوابته وأصوله باسم التسامح نوع من الإلحاد، والدعوة إلى تحرير المرأة من شرائع الإسلام التي تخصصها نوع من الإلحاد.

وكما أنَّ للإيمان مراتب ودرجات؛ فللإلحاد منازل تهوي في ظلمات الدركات، ظلمات بعضها أسود من بعض، لا مطمع فيها لأولي النهي، ولا فرح بالانتساب إليها عند أهل الحجى.

**ثالثاً: الإلحاد في الاصطلاح المعاصر هو:** مذهب فلسفي قائم على فكرة عدمية،

أساسها إنكار وجود الله **عَزَّوَجَلَّ!!** أو التكذيب بالوحي ولوازمه، أو اليوم الآخر ومتعلقاته، والكون نشأ بدون خالق، وحدث وجوده بالصدفة، وسينتهي بالصدفة كما بدأ، والمادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في آنٍ واحد، والدين خرافة (١).

ونجد - بعد معرفة معنى الإلحاد لغةً وشرعاً ومعاصرةً - أن العلاقة بينها جميعاً ظاهرة، يجمعها لفظ الانحراف سواء كان حسيماً أو معنوياً، وهذا يوضح لنا وجه تسمية العلماء للمبتدعة وأهل الأهواء والزنادقة والزائغين والمنافقين والكفار بجميع أصنافهم واختلاف انحرافاتهم بأهل الإلحاد.

(١) انظر [رَدُّ القرآن الكريم على الإلحاد والملحدِين] د. علي بن عتيق الحربي - مجلة بحوث كلية الآداب (ص ١٠٢٢) و [كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة] لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (ص ٤٣٣) ط / دار القلم بسوريا] و [خطر الإلحاد] مقالة من إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي على الشبكة] و [المنهج الشرعي في الرد على دعاوى الإلحاد الجديد - دراسة تأصيلية نقدية للكتابات المعاصرة] د. سعد بن بجاد العتيبي / حوليات كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية - عدد ٣٢ مج ٢ (ص ٩٨٥).

والإلحاد قديم جديد، وأنواع كثيرة، فمن قديمه: نوع أنكر أصحابه البعث والنشور والحياة الآخرة وهم المُسَمَّون بالدهريين (ملاحدة الجاهلية)، قال الله الخالق الحكيم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَاكِمًا** مقالته: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (الجاثية: ٢٤)، قالوا: نموت ونحيا ويفينا الدهر، وما نحن إلا من أرحام تدفع، إلى أرض تبلع وينتهي كل شيء، فلا بعث ولا نشور، ولا حساب ولا عقاب، ولا جنة ولا نار، معتقدين قدم الدهر وأزليته (١)، قال الله الخالق الحكيم راداً عليهم: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية: ٢٤)، فليس على قولهم دليل، ولا لهم حجة، إنما أوهام وظنون.

والإلحاد بفلسفته المادية الوضعية هو السمة البارزة لحضارة الغرب اليوم المنصوص عليه في دساتيرها بالعلمانية أو اللادينية (٢) وإن وجد في بلدانها الدين النصراني واليهودي، فقد " بنت سلوكياتها على مبدأ المادية البحت، ومعاداة النظرة الغيبية والروحية " (٣).

### معتمداً على ركيزتين اثنتين:

#### ١- تمييع اليقين (ضرب الثوابت اليقينية).

(١) انظر [دور الدرس العقدي المعاصر في مواجهة الإلحاد] محمد أراو - مجلة التراث عدد ١ ص ١١٦.

(٢) [الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها] لعبد الرحمن عبد الخالق (ص ٦ ط/ الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية).

(٣) اقتباس من مقالة [ظاهرة الإلحاد خطاب ما قبل الدين والتدين] لسيكو توري.

٢- تهوين التشكيك (انتهاج مفهوم النسبية مع كل شيء) (١).

فلا يوجد عندهم دين محترم، ولا أخلاق، ولا مبادئ، ولا ثوابت، وهذا يفسر استحلالهم كل محرم، وإتيانهم كل منكر، ورميهم المقدسات الدينية والقيم الإنسانية والأخلاق الزكية وراء ظهورهم، فالذي يجري عندهم اليوم شيء مهول، وأحسن صورة تعبر عن هذا الواقع صورة (مجتمع بلا بوصلة) كما قال الناقد الفرنسي جورج بالانديه (٢).

وقد تعاضم انتشاره في الغرب بعد أحداث ١١ سبتمبر! ويات يعرف بـ (الإلحاد الجديد)، منادياً - في وهم باطل وخيال مجنون - باستئصال الأديان ومحوها من على وجه الأرض.

اللهم اهْدِكْ كُلَّ مَلِكٍ مَلِكًا وَمُحَدِّدَةً فَاِنَّهُمْ لَيَعْلَمُونَ

(١) كما في [أنواع الإلحاد نظرة مجملية] لعللي حمزة زكريا (ص ٣٤) لا يوجد بيانات].

(٢) انظر بحث [نظرة علمية شرعية في واقع الانحراف الفكري المعاصر (سياق الإلحاد الجديد

أنموذجاً) ومعالم مقترحة لتفعيل سياسة شرعية واعية) د. عبد الله بن سعيد الشهري (ص ١٧)

ط/ رابطة العالم الإسلامي المجمع الفقهي الإسلامي].





# الوقف (٣)

مَا هِيَ سَبَابُ الْإِلْحَامِ؟





إن اتخاذ قرار الإلحاد يعود إلى عدة أسباب، وتعدد الأسباب يرجع إلى البيئات التي يظهر فيها الإلحاد، فهناك أسباب للإلحاد في الغرب، وهناك أسباب للإلحاد في الشرق، وهي في حقيقتها ترجع إلى نوعين: نوع شهوات، ونوع شبهات، وهذا الأخير تتعدد أنواعه، فهناك:

- ١- أسباب نفسية.
- ٢- وأسباب دينية.
- ٣- وأسباب سياسية.
- ٤- وأسباب فكرية.
- ٥- وأسباب فلسفية<sup>(١)</sup>.
- ٦- وأسباب اجتماعية.

وستقدم ذكر نوع الشبهات لتعدد أسبابها، وتأثيرها الواضح، وكثرة الواقعين فيها، ذاكرينها في سياق واحد، فمنها:

١- الجهل بالدين، والإعراض عن تعلم ما يجب من عقائده وتشريعاته وآدابه (الأميَّة الدِّينيَّة)، وهو سبب طبيعي للوقوع في فتنة الإلحاد وغيره، فمن لم يميز الحق من الباطل، ويعرف الشر من الخير؛ تسرب إليه الإلحاد وأخرجه من الإيمان ليدخله إلى دين الملاحدة، وربنا الخالق الحكيم يقول: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، فأخبر أنه لا بد من أمرين:

(١) انظر [محاضرة الشيخ د. سعيد بن حسين القحطاني ضمن ورشة عمل بعنوان (الإلحاد

الجديد: ظاهرته - أسبابه - علاجه)] على الرابط اليوتيوبي:

البراءة من الكفر، والإيمان بالله، ولا يكون ذلك إلا بعلم، وبدونه لا يتميز الكفر من الإيمان، بل يحصل الخلط بينهما، وفي بيئة الخلط تنبت بذور الإلحاد، وهذا أمر متوقع. ويتفرع منه:

٢- القراءة في كتب الملاحظة والحداثة العصرية التي لا تخلو من طعن في الدين ونصوصه ورموزه وقد صيغت بألفاظ منمقة ومبهرجة، مُجَرَّئَةً قارئها على المساس بثوابت الدين ومقدساته، وجعلها عرضة للسخرية والنقد.

٣- التأثير بموجات التغريب والنظريات الفلسفية الحديثة الغربية والشرقية، وما تسرب من أنواع العلوم والفنون والثقافات التي عَمَّتْ فَأَعَمَّتْ، وتضاعفت فأضعفت الهوية، وعصفت بالمجتمعات الإسلامية حتى أفسدت على كثير من الناس دينهم من الجذْر، وكان من آثاره تلك الدسيسة القائلة بأن سبب تطور الغرب وحضارته هو ترك الدين ونبذه، واعتماد العقل بعيداً عن وحي السماء.

٤- السفر إلى بلاد الكفار، والاختلاط بالملحدين وغيرهم مع ضعف العلم الشرعي والتكوين المعرفي والوازع الديني، والإعجاب بأطروحات أفكارهم، ومباهج حياتهم، مع رؤية النفس بالنقص والتخلف والانهازامية، فيحصل التأثير ثم التقليد والمحاكاة، والمغلوب مولع بالاقتداء بالغالب كما قال العلامة المؤرخ ابن خلدون رَحِمَهُ اللهُ فِي مَقْدَمَتِهِ (١).

٥- المشاكل الاجتماعية كالتفكك الأسري المتمثل في الطلاق أو التَّرمُّلِ أو العلاقات المحرمة، وكثرة التنازع بين الأنساب والأصهار كما في بعض الدراسات النفسية لدى بعض الملاحظة.

(١) [ص ١٨٤] ت خليل شحادة - ط / دار الفكر بلبنان.



٦- إهمال الآباء تربية أبنائهم تربية صالحة قائمة على تعظيم الدين وحبّه، وتعلم أصوله ومبادئه، وفي وصية لقمان لابنه، وتعليم النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لابن عباس **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا** دروس عظيمة في التربية على الإيمان، وترسيخ لمفاهيم الدين في الأبناء، ودورهم في الحياة.

ومن الجناية على الأبناء تركهم في سنٍّ ما يسمي بالمراهقة، يخطئون ويستمرون في الخطأ والضلال، والتفلت الأخلاقي، ومقارفة المعاصي دون توجيه ناصح أو ضبط حازم، بحجة أنهم سيترون ذلك مع مرور الأيام كما يفهم بعض الآباء !!!

٧- الفراغ الفكري والعقلي والعاطفي والرياضي الذي يعيشه الشباب، لا سيما خريجو الجامعات والثانويات، حيث يقتل الفراغ والبطالة أوقاتهم، ولا يجدون ما يشغلهم، ويستثمر نشاطهم، ويوجه اهتماماتهم بما يصرف عنهم فتن الشهوات والشبهات (١)، وقديماً قيل:

لَقَدْ هَاجَ الْفَرَاغُ عَلَيْهِ شُغْلًا وَأَسْبَابُ الْبَلَاءِ مِنَ الْفَرَاغِ

٨- مخالطة رفقاء السوء من التائهين والمتحيرين والشكاكين الذين يعرضون شبهاتهم في صورة أسئلة، والصاحب ساحب، وودّ المملحد أن الناس كلهم ملاحدة، وصدق الله الخالق الحكيم في قوله: ﴿وَلَا تَطْعَمَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف: ٢٨).

(١) انظر بحث [الإلحاد بواعثه - مظاهره - طرق علاجه] أ.د. حسين محمد محمود عبد المطلب - دورية البيان كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا - جامعة الأزهر مج ١٧ عدد ١ (ص ٣٨٦).

٩- النظرة الشاؤمية للحياة، ولحظ أحداثها بعين اليأس، فلا يرى إلا صولة الشر، وخيبة الأمل، وسوء الحظ، وهذا يقود إلى:

١٠- وجود تساؤلات عقلية عند بعض الشباب، تُقابَل من البعض - مع الأسف الشديد - بالإغلاظ في القول، والتعنيف والتخويف، والتقبيح والتوبيخ! فيتولد عند أحدهم الشعور بالكرهية، فالدخول في عالم من الشكوك والظنون والأوهام، وتتراحم في صدره الوسوس، ثم يغرق في لوازمها القاتلة، ثم ينحاز إلى نفسه ويعيش سجينَ خَلْوَتِهِ وقد نبتت في صدره عقيدة إلحادية تكبر يوماً بعد يوم، لا يلبث إلا ويجهر بها لاحقاً.

ولا يخفى أن الشيء يكون بذرة ثم نبتاً ثم شجرة، والنهايات نتيجة البدايات.

١١- التأثر بالأفكار والمضامين الإلحادية المنشورة بواسطة الميديا (الإعلام) لتشكيل اللاوعي، وذلك عبر أفلام وأغانٍ تتناول كل المواضيع والقضايا، ومن منطلقات وزوايا مختلفة، منها:

أ- المغالاة في الخيال العلمي لتهميش قدرات الإله الخالق.

ب- شيطنة الإله وجعله مصدراً للشروع.

ج- ازدراء الأنبياء والرسل، وتشويه مكانتهم في نفوس الناس.

د- الدعوة إلى عبادة الشيطان واتخاذهِ إلهاً.

هـ- الترويج لممارسة السحر وتحسين صورته.

و- تصوير الوجود والحياة بمظهر العبثية والعدمية واللاغائية.

ز- استغلال ثغرات النفس والعقل والخيال.

ح- الإغراق في عرض الشهوات والعري، وتحبيب الزنا والخيانة.

**ط -** تنميط الأديان والأخلاق بمفاهيم مشوهة وتهكمات ساخرة لتهوين مكانتها في النفوس.

**ي -** جعل ما يسمى بـ (الإنسانية) ثابتاً مقدساً فوق كل شيء.

**ك -** الدعوة إلى مساواة المرأة بالرجل وعدم تمييزها عنه، ورفض الاضطهاد والنزعة الذكورية التي مصدرها الأديان زعموا!... وغيرها (١).

١٢- صناعة جماعات دينية متشددة تنتهج الغلو في فهم النصوص الشرعية وتطبيقها، واختراق أخرى موجودة على الساحة بأفراد يتمظهرون بالدين لممارسة الإرهاب والتشويه والتضليل عملياً، صَدَّأً عن سبيل الله وبغيها عوجاً، وتشكيكاً بالأديان، وهذا من أمكر ما قاموا به.

١٣- وجود عقائد وعبادات وسياسات مُحدثةٍ نسبت إلى الدين وهو منها براء، وشوّهت مفهوم الإله الذي دعا إليه الأنبياء والرسل، وأفسدت حقيقة الإيمان بأفكارها المتناقضة، وممارساتها الطاغية وتأويلاتها المحدثه التي كَرَّهت إلى الناس الأديان وأهلها.

١٤- القتل والحروب وما تولده من ردود فعل عاطفية غير واقعية، وأسئلة غير منطقية عند الملحد، لأن الصراع طبيعة في وجود الإنسان، سواءً وُجِدَ الدين أو لم يوجد، بل هناك حروب قادها الإلحاد كما سيأتي إن شاء الله، وهذا سبب سياسي.

---

(١) انظر [ (الميديا والإلحاد السينما واللاوعي، الخطاب الشعبي للإلحاد) م. أحمد حسن (ص ٤٣ وما بعدها) ط / مركز دلائل بالسعودية ] وبحث [ (الخطاب الإلحادي في السينما الأمريكية من خلال فيلم (Mother) دراسة تحليلية) صابر بقور وعبيدة صبطي - المجلة الجزائرية للأمن الإنساني مج ٥ عدد ١ (ص ١٣٣-١٥٧) ].

١٥- وجود أحزابٍ وجمعياتٍ ومنظماتٍ مجتمعٍ مَدَنِيٍّ تعمل على إضعاف روح الإسلام وتجريده من جوهره، وتعطيل رسالته، واستنقاص كماله، وحصر مفهومه الواسع الكبير في طقوس عبادية محدودة الزمان والمكان، داعيةً إلى نقد الموروث، وتجديد الخطاب الديني بخلط الإسلام بالمذاهب والنظريات الإلحادية الهدامة تحت الشعار الخادع (الوسطية والتسامح).

١٦- أنظمة الحكم الإلحادية كالشيوعية والديمقراطية والعلمانية والليبرالية والدولة المدنية، فكل هذه تُرَوِّجُ للإلحاد قليله وكثيره، وفي ظلِّ قوانينها ومبادئها يجد الإلحاديون ما يبيح لهم ممارسة إلحادهم، والطعن في الأديان، والتعبير عن أفكارهم المنحرفة.

### وأما ما يتعلق بنوع الشهوات فيرجع إلى :

١٧- حب اقتراف الشهوات والملذات المحرمة، وعدم الرغبة الصادقة في ممارسة شعائر الدين والالتزام بقيودها الضابطة، والإلحاد يفتح لصاحبه الباب على مصراعيه لنيلها دونما وازع ديني أو مبدأ أخلاقي أو ضمير إنساني، حتى يصيبه بالخلل العقلي والحِطَّةُ الخلقية، فلا يحل الملحد حلالاً، ولا يحرم حراماً إلا ما أشرب من هواه، والشهوات باب للشبهات كما قيل.

### وبعد سرد جملة من أسباب الوقوع في الإلحاد يلاحظ القارئ أن منها :

١- ما يعود إلى الملحد نفسه.

٢- ومنها ما يعود إلى أسباب خارجية متنوعة المآخذ والتأثير.

وإن من ينظر إلى الواقعيين في أسباب الإلحاد هذه سيجدهم من جيل الشباب الصاعد، والمراهقين، وغير المتعلمين، وضعاف النفوس، وجَهَلَةَ الدين.



## الوقف (٤)

مَنْ يَقِفْ وَمَاءَ الْإِلَهَامِ نَادٍ؟





إننا ندرك خطر الإلحاد والسعي لصبغ العالم بأفكاره وسوء آثاره، ولا ينبغي التهوين من شأنه، فهو اليوم يشكل ظاهرة عالمية تمتد على طول الأرض وعرضها، فالسياسة والاقتصاد والثقافة والإعلام والفنون والفكر والعلاقات الإنسانية والدولية ملوثة برجس الإلحاد، ومن الخطأ بل من حماقة تجاهل هذه الحقيقة بله تكذيبها، فالدول الكبرى والمنظمات الدولية التي تقود العالم، وكبريات وكالات الإعلام وشركات الإنتاج السينمائي والكرتوني التي تصنع الأفكار والثقافات، والشركات العابرة للقارات والجنسيات، والبنوك الدولية التي يُدار بها اقتصاد العالم، كل ذلك يتحرك بدافعٍ ماديٍّ إلحاديٍّ !!

وكان من الطبيعي - والحال هكذا - أن تعيش البشرية أسوأ حالاتها، فالحروب قائمة ولم تنته، وقانون الغاب هو سيد الموقف، والفوضى تسبح في الأرض، وتلويث الطبيعة، وإفساد الهواء، والاضطرابات والأزمات والجرائم والفساد وشبكات الدعارة والأمراض والأوبئة ما صُنِعَ منها وما لم يُصنع تشكل قلقاً في المجتمعات البشرية، وإذا بُحِث أسبابها كان الإلحاد أولها وأولها.

إن ذهنية الفساد المتوغلة في نفوس المفسدين أظهر ما تكون في الجنس المتمرد اليهود، فلا يُذكر الفساد إلا ويأتي لصيقاً بهم، وصار من المتواتر بين الناس قاطبة فسادهم وإفسادهم للبشرية بكل وسيلة، وبصور متعددة، من نظريات تنشئها أو مبادئ تنشرها، أو عبر أنظمة تقيمها، لتحطيم الفوارق والخصوصيات، والقبائل والقوميات، والأديان والألوان، بحيث صار مشروع وجودهم وتواجدهم أينما وجدوا، سعيًا لتحقيق آمالهم في الأرض التي تحركها عصبيتهم لجنسهم، وحقدهم على جميع الأمم، واحتقارهم لكل الشعوب، وشعورهم بالغرابة والعزلة مع مرارة وبكاء كل العصور.

والحق الحقيق بالقول؛ لقد صار العالم مسرحاً لترويج الإلحاد بما أنشؤوه من الشيوعية والعلمانية، وكلها من إنتاجات اليهود، وليس يخفى ما يقوم به ذراع اليهود الخفي (الماسونية) من نشر الإلحاد عبر الدعاية لتبني الديمقراطية والليبرالية في العالم، وبذلك كله حُكِمَت بلدان وشعوب تغيرت دياناتها وثقافتها وعاداتها حتى صارت أفكارها وأنماط حياتها ذات مفاهيم إلحادية واضحة تزداد انحرافاً عن الفطرة والإنسانية يوماً بعد يوم، وتتعمد التركيز على تشويه الأديان، وإفساد أخلاق الناس وعلاقاتهم الاجتماعية، فاليهود هم أرباب الإلحاد وناشروه بين الناس، جاء في بروتوكولات حكماء صهيون - البروتوكول الرابع - (١) قولهم: "إذا ساد الإيمان بالله فيمكن أن يحكم الشعب، بأن تُقسَّم الأرض إلى أقاليم، وعلى كل إقليم راعيه الوصي، فيسير الشعب راضياً قنوعاً تحت إرشاد الراعي الروحي إلى ما فيه مشيئة الله على الأرض، وهذا هو السبب في أنه من المُحْتَمِّ علينا أن ننسف الدين كله لنمزق من أذهان الغوييم (غير اليهود) المبدأ القائل بأن هناك إلهاً رباً وروحاً، ونضع موضع ذلك الأرقام الحسابية والحاجات المادية، ولكي لا نعطي الغوييم وقتاً للتفكير والروية؛ فيجب تحويل أذهانهم إلى الصناعة والتجارة" (٢)

(١) من [بروتوكولات حكماء صهيون] ط / فكتور مارسدن (ص ١٦١ - ١٦٢) ط / الحرية للنشر والتوزيع بمصر].

(٢) وانظر [بروتوكولات حكماء صهيون] ط / محمد خليفة التونسي للبروتوكولات (ص ١٦٩) - ط / الرابعة - دار الكتاب اللبناني بيروت] و [كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة] ص ٧٨ - ٨٢ / مصدر سابق].



ومن هذا النقل يدرك القارئ كيف نجح اليهود في إسقاط الملايين من غير اليهود في العالم في ضلالات الإلحاد وهم لا يشعرون؟! حتى صار نظريات تُدرّس في المدارس والجامعات، ودينًا تتبناه الدول والحكومات كبديل عن أديانها، ومنهجًا تنشره المراكز والمؤسسات، وأفلامًا تنتجها شركات الإنتاج الفني لتؤثر على العقول والمملكات.

**وتعدُّ نظريات اليهود: ماركس في الاقتصاد والتفسير المادي للتاريخ وتنازع الطبقات، وفرويد في علم النفس، ودارون في أصل الأنواع، ودور كايم في علم الاجتماع أسس الإلحاد في العالم، وكلها من صناعة اليهود وهم مُتَوَلَّوْ نُشْرِها، فقد جاء في بروتوكول حكماء صهيون - البروتوكول الثاني - : " لا حظوا هنا؛ إن نجاح دارون وماركس ونيثشه قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحًا لنا بالتأكيد" (١)**

ولن ينسى التاريخ ما قام به اليهودي الهولندي باروخ سبينوزا داعية وحدة الوجود وأحد رواد العلمانية، واليهودي الفرنسي هنري برجسون الذي قامت فلسفته على أن لا مصدر رباني للدين والأخلاق، والوحي خرافة من اختراع الإنسان،

---

(١) [بروتوكولات حكماء صهيون] ص ١٢٣ - ١٢٤ / مصدر سابق] وانظر [طبعة فكتور مارسدن للبروتوكولات (ص ١٥٥) مصدر سابق] و [خطر الإلحاد] مقالة من إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي على الشبكة] و [اليهود وراء كل جريمة] لوليم كار (ص ٤٤) وما بعدها - شرح وتعليق خير الله الطلفاح - ط / دار الكتاب العربي بلبنان] و [المنهج الشرعي في الرد على دعاوى الإلحاد الجديد - دراسة تأصيلية نقدية للكتابات المعاصرة] ص ٩٩٣ / مصدر سابق].

واليهودي الفرنسي جان بول سارتر رأس الوجوديين الملحدين الداعي إلى تأليه الإنسان، وأن حريته هي الوجود الحقيقي (١).

وهذا شاعر اليهود القومي يهودا عميحاى الحائز على جائزة الأدب في دولته اللقيطة الليفة (إسرائيل) سنة ١٩٨٢م - وتكريم الدولة له دلالة - يقول في قصيدة له بعنوان: (نهاية شهر أيلول) في نزعة إلحادية صارخة وقحة:

أنا متعب وأسبُّ الأديان الثلاثة المعروفة  
لأنها لا تدعني أنام ليلاً  
بالأجراس، بالصراخ، وبالأبواق والأدعية المزعجة  
يارب! أغلق بيوتك.. واترك العالم بسلام!! (٢)

وها هم أولاء يصرحون في بروتوكولاتهم مرة أخرى بهدفهم من صبغ العالم بالإلحاد، فقالوا: " يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان، وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إثمارة ملحدين " (٣).

(١) انظر بحث [اليهود المُتَحَفُّون وأثرهم على النصرانية والإسلام] د. أبو بكر عبد المقصود محمد كامل - مجلة الدراسات الإسلامية والعربية (ص ٩٠ - ٩١) و [كواشف زيوف] ص ٣٥٠ / مصدر سابق] و [الموسوعة الفلسفية العربية] ٣ / ١٥١٤ - لمجموعة باحثين - ط / معهد الإنماء العربي].

(٢) [الإلحاد في الأدب العبري] د. عصام صبحي جميل - مجلة الجامعة العراقية (العدد ٥٥/ج ٣ - ص ٢٣١)].

(٣) [بروتوكولات حكماء صهيون] ط / محمد خليفة التونسي (ص ١٦٩) - مصدر سابق].

فائدة: يرى د. أحمد بن عبد الله الزغبى أن تسمية (بروتوكولات حكماء صهيون) خاطئة لا تطابق واقع ما عليه اليهود الصهاينة وما أعدوه من خطط، واستبدل ذلك بـ (تقارير زعماء صهيون) وعلل ذلك، فانظره في كتابه [العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي =

## وماذا بعد إثم ملحدين في العالم؟

الجواب معروف؛ حيث العالم بجميع شعوبه وحكوماته - بعد تنكيس فطرتها واجتثاث الدين والأخلاق منها - يتهاى للسيطرة عليه من قبل اليهود الذين تقف وراءهم حكومة خفية تزعم أنها الأصلح لحكم العالم! وتسيره بنظامها الشيطاني العالمي!!

ولا أدلّ ولا أبينَ ولا أصدق على إفساد اليهود للبشرية بالإلحاد وغيره من قول الحق الواضح المبين: ﴿كَلَّمَآ أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة: ٦٤) ففيهم نزلت هذه الآية، وعنهم تتحدث، وهذا هو عملهم، يسعون في حركة دؤوبة لا تتوقف ولا تهدأ، ولا تواني فيها ولا كسل، بل سعي بالليل والنهار، وفي كل ميدان، ومفتوح على جميع الأبواب، ولا يستثنى أحداً في شرق الأرض ولا غربها، فهم موقدو الحروب، ودعاة الفتن، وسعاة الفساد، وهادمو الأخلاق، بما يدل على نفوس متغلغلة في الشر، تَمَيَّزُ بالغيظ، ساخطة على البشرية للانتقام والتخلص منها بأي وسيلة، لا لشيء سوى أنها ليست من العنصر اليهودي.

وقول الخالق الحكيم تعالى: ﴿فَسَادًا﴾ إما حال: فهم يسعون في الأرض مفسدين، فهذا حالهم دائماً، وإما مفعول لأجله: فهم يسعون لأجل الفساد، وكلاهما منطبق على اليهود، وبهما يعيشون.

والقرآن عندما يسجل هذه الحقيقة الكاشفة لدور اليهود في الأرض فهو ينبهنا للبحث والنظر في إفسادات اليهود للبشرية والحياة على مدى التاريخ، وإشعال

الحروب بين الحكومات والشعوب، وعرض ونشر المعلومات والحقائق التي تبين ذلك للناس، وذلك:

١- ليكونوا على علم بأعداء الله والرسول والبشرية، وخُدم الشيطان وعبده، القائلين ما يبين موقفهم العنصري الحاقد تجاه البشر: "اقتل الصالح من غير الإسرائيليين، ومحرم على اليهودي أن يُنَجِّي أحداً من باقي الأمم من هلاك أو يخرج من حفرة يقع فيها، لأنه بذلك يكون حَفِظَ حياة أحد الوثنيين" (١)

٢- وليقوموا بما يجب تجاه فسادهم البغيض، وإفسادهم العريض.

وقد لاحظ بعض المتابعين لخطابات الملحدين الجدد عدم تعرضهم لنقد اليهودية مع زعمهم نبذ جميع الأديان، وأن جزءاً كبيراً من انتقاداتهم كان موجهاً مباشرة ضد الإسلام، ملاحظين في الوقت نفسه وجود أصول دينية محددة تقود هؤلاء الملاحدة! (٢).

وغير خاف أن اليهود كانوا وراء تحريف ما بعث الله به موسى وعيسى **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ** من الدين، وطالت تحريفاتهم الكتاب المقدس بعهديه القديم (التوراة) والجديد (الإنجيل)، حتى أوصلوه إلى تناقضات لا يقبلها عقل ولا يرتضيها منطق، ولمَّا ضاق الناس بذلك ذرعاً؛ تولى اليهود دفع الثورة الفرنسية للصدام مع الكنيسة

(١) انظر [الكنز المرصود في قواعد التلمود] أوغوست روهنج - (ص ٦٦) ترجمة د. يوسف نصر الله - ط/ مطبعة المعارف بمصر] و [العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها] (١/ ٧٦) مصدر سابق].

(٢) مقال [الملحدون الجدد يتجنبون انتقاد اليهودية أو المشروع الديني لإسرائيل ويركزون على مهاجمة الإسلام] لرائد صالحه - صحيفة القدس العربي على الشبكة العنكبوتية].

ودينها المحرف، ولاهوتيتها المستبدين، واستحداث أيديولوجيا جديدة تعورف عليها فيما بعد باسم العلمانية والتي هي إنتاج يهودي بامتياز، جاء في البروتوكول الثالث (١) قولهم: "تذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها (الكبرى)؛ إن أسرار تنظيمها التمهيدي معروفة لنا جيداً، لأنها من صنع أيدينا، ونحن من ذلك الحين نقود الأمم قدماً من خيبة إلى خيبة".

وليس بمُجدِ التشكيك بما جاء في هذه البروتوكولات، فلسان حالها أنطق من لسان قَالِهَا، ومسطورها قائم الشواهد، ملموس الوقائع والآثار (٢).

**وهذا يؤكد مرة أخرى أن اليهود هم أرباب الإلحاد وصابغوه ومروجوه، لقد أُلحدوا ولا زالوا يلحدون، ويسوقون البشرية إلى الإلحاد، لقد أُلحدوا ثلاث مرات:**

- ١- أُلحدوا يوم حرفوا الدين (ما كان عليه أنبياءهم وكتبهم السماوية التوراة والإنجيل)، ويريدون تحريف الإسلام وقرآنه، ولكن هيهات هيهات لما يلحدون .
- ٢- وأُلحدوا يوم حرفوا العلم (نظرية داروين القرنية أنموذجاً).
- ٣- وها هم يلحدون بتحريف فطرة الإنسان اليوم إلى الشذوذ والتحول الجنسي، وفرضه كمبدأ حقوقي لكل شاذٍ وشاذة على العالم كله !!!

وكل هذه الإلحادات تفرعت من إلحادهم الأول الذي قام على الكفر بآيات الله وقتل النبيين كما بيَّنه الله في غير موضع من تنزيله المبين، كقوله تعالى:

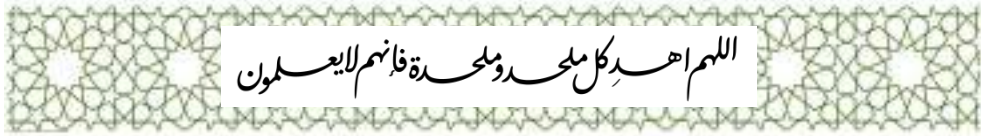
(١) من [بروتوكولات حكماء صهيون] ط / محمد خليفة التونسي (ص ١٢٩) - مصدر سابق].

(٢) انظر ما يؤكد ذلك في [العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها]

(١ / ١٣٢ - ١٣٤) مصدر سابق].

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّكَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ...﴾  
**(البقرة: ٦١)**، فلما صاروا بذلك ملحدين، ونزعت العقدة النفسية فيهم كل منزع؛ ودُّوا  
 أن لو ألحدَ الناس كلهم، وأن نكون نحن معشر المسلمين - خاصة - كفاراً ملحدين  
 كما كانوا حسداً من عند أنفسهم، فسعوا - ولا يزالون - إلى نشر الإلحاد بين الناس،  
 وفي جميع أبواب الحياة <sup>(١)</sup>.

وصدق الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني **رَحْمَةُ اللَّهِ** حينما قال: " حيثُ  
 وَجَدْتُ مكرراً يهدف إلى الدين أو الأخلاق، أو النظم الاجتماعية أو السياسية  
 الصالحة، أو من شأنه أن يُفضي إلى تدمير الإنسانية؛ فابحث عن الأصابع اليهودية  
 وراءه " <sup>(٢)</sup>.



(١) وانظر أنواعاً وأمثلة للإلحاد اليهود في الدين كما ذكرها القرآن في [(العنصرية اليهودية وآثارها  
 في المجتمع الإسلامي والموقف منها) (١/ ٢٦٥ - ٢٧١) مصدر سابق].  
 (٢) [(كواشف زيوف) ص ٣٥٠ - مصدر سابق].



# الوقف (٥)

الإسلام في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم







ما من شك أن المذهب الإلحادي بنظرته المادية للكون والحياة، الجاعل صاحبه يعيش بلا هدف ولا إيمان؛ يخلف آثاراً سيئة ونتائج خطيرة على مستوى الفرد والمجتمع الذي يتواجد فيه، وهذه جملة منها:

١- غياب تفسيرٍ منطقيٍّ واعٍ للوجود والحياة، فلا يدري الملحد كيف وُجدَ؟ ولماذا وُجدَ؟ وإلى ماذا سيصير؟ ولا يجد جواباً عليها إلا القلق والحيرة والاضطراب النفسي.

وتُعَدُّ (قصيدة الطلاس) من أبلغ ما عَبَّرَ عن التيه والحيرة، والخواء الروحي واليأس والقنوط الذي يعيشه الملاحدة، قال شاعرهم:

جئتُ لا أعلمُ من أين ولكني أتيتُ  
ولقد أبصرتُ قدامي طريقاً فمشيتُ  
وسأبقى ماشياً إن شئتُ هذا أمرُ أبيتُ  
كيف جئتُ كيف أبصرتُ طريقي  
**لستُ أدري!**

أجدد أم قديم أنا في هذا الوجود  
هل أنا حرٌّ طليقٌ أم أسيرٌ في قيود  
هل أنا قائدٌ نفسي في حياتي أم مقودٌ  
أتمنّى أنني أدري ولكن  
**لستُ أدري!**

وطريقي ما طريقي أطويلٌ أم قصيرٌ  
وهل أنا أصعدُ أم أهبطُ فيه أم أغورُ  
أأنا السائر في الدرب أم الدرب يسيرُ  
أم كلانا واقفٌ والدهر يجري

### لست أدري!

أتراني قبلما أصبحت إنساناً سوياً  
أتراني كنت محواً أم تراني كنت شيئاً  
ألهذا اللغز حلُّ أم سيبقى أبدياً  
لست أدري، ولماذا لست أدري؟

### لست أدري!

إلى آخر قصيدته التي تصور حال الملاحدة البئيس، ولا أدريتهم الحائرة الضالة طريق الحق المبين، باحثين عن المعنى المفقود وسط شعور عميق بالاغتراب، قال الله الخالق الحكيم جلَّ أمره وصدق خبره: ﴿أَمَّن يَمْشِي مَكْبًا عَلَيَّ وَجْهَهُ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَيَّ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الملك: ٢٢).

فماذا وجدَ مَنْ فَقَدَ الله؟ وماذا فَقَدَ مَنْ وَجَدَ الله؟ وهل يستوي الأحياء والأموات؟ أم هل تستوي الظلمات والنور؟ قال الله الخالق الحكيم: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٢).

ومَنْ كان في الظلمات فلا عجب في أن يتيه مع كل خُزْ عِبَلَةٍ، ويصافح كل خرافة، ويتسكع معها في الضلالة، " ويتتكدس بين أمواج الحيرة، يدفعه ريب، ويتلقاه شكُّ إلى أبد الأبدِين " (١).

(١) كما في [الرد على الدهريين] لجمال الدين الأفغاني (ص ١١) - ترجمة تلميذه محمد عبده المصري - ط/ مطبعة الموسوعات بمصر سنة ١٣٢٠هـ.]

٢- يقطع الإلحاد على صاحبه طريق الآخرة، فلا جنة ولا نار، وبالتالي فلا حلال ولا حرام، حتى العلم المادي يتعلمه ويوظفه للمتعة، فالملحد يعيش ليتمتع بالشهوات والملذات فقط، وينطلق في الحياة مهرولاً لأجل الكسب والمنفعة المادية، يقوده في ذلك شبهات وشهوات، قال ابن قَيِّم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: " وإذا انضاف الهوى إلى الشبهة؛ تَرَحَّلَ العقل والإيمان، وتمكن الهوى والشيطان " (١). هذا هو الإلحاد في بدايته ونهايته.

ولم يشهد التاريخ البشري دعوة للحطّ من آدمية الإنسان وإهدار كرامته، وإثارة الغرائز، وإلهاب الشهوات كما شهدها عصر الإلحاد اليوم، وكانت نظرية اليهودي الملحد فرويد الداعية إلى تفسير ظواهر الإنسان المختلفة بالدافع الجنسي سبباً في صبغ تلك المجتمعات بالأنانية والإباحية المجنونة التي جعلتهم أضلّ من الأنعام سيلاً!! وكان من أخطر آثار هذا الأثر السيئ:

٣- تفشي ظاهرة الانتحار في أوساط الملاحدة، وبحسب الإحصائيات فأعلى معدلات الانتحار في العالم تتواجد في المجتمعات الإلحادية!

ولكن لماذا الملاحدة أكثر الناس انتحاراً؟

لأن إلحادهم لا يستطيع، وفلسفتهم عن الحياة لا يمكن أن تُعاش!! إنها تعادي الإنسان نفسه، ويشعرون معها بجحيم وجودي لا صبر لهم عليه إلا بالهروب إلى الانتحار!!! أسوأ الخيارات! وأخسر الصفقات! وقد قال الإمام ابن الوزير اليماني

(١) من [الصواعق المرسلّة في الرد على الجهمية والمعطلة] ٤ / ١٣٨٨ - مصدر سابق].

رَحْمَةُ اللَّهِ: " فإن النفس كما أنها بعيدة الإيمان؛ فإنها بعيدة الأمان، وخوفها أعظم الأعوان على إيمانها " (١).

وصدق مَنْ قال - وتنسب إلى الدكتور عبد الوهاب المسيري رَحْمَةُ اللَّهِ -:  
" الفكر الإلحادي ليس كفراً بالإله وحسب؛ وإنما هو كافر بالإنسان أيضاً، إذ يعلن موت الإله ثم موت الإنسان ككائن مقدس عن بقية الكائنات، متميز عن الطبيعة ".  
والعلاقة واضحة بين نزع قِيمِ الدين، وإماتة الوازع الأخلاقي، ومسح الفطرة، وفقدان الأمل، والانحلال من الفضائل، والانغماس في الرذائل (المخدرات والكحول وسائر الموبقات) وبين الانتحار.

إنه لما استوحش القلب بتلك الظلمات التي أحلها بداره الإلحاد؛ هانت جريمة الانتحار، وكان الانتحار هو المصير المحتوم في حياة النِّيْتَشَاوِيَيْنِ الضنكَةِ العيش، التَّعَسَّةِ البَّئِيسَةِ!! (٢).

٤- تسلط الأعداء وسقوط الدول، وسؤم أهلها بأنواع القتل والاستئصال والتنكيل بسبب وجود الإلحاد - ضمن أسباب أخرى - على مستوى القيادة والنخبة

(١) [إيثار الحق على الخلق] ٨ / ٤٧٨ - ت - أبي نوح عبد الله بن محمد اليمني - ط / دار الصمعي بالسعودية].

(٢) وانظر بحث [الإلحاد المعاصر سماته وآثاره وأسبابه وعلاجها] لسوزان بنت رفيق المشهراوي - مجلة كلية الدراسات الإسلامية بالأزهر - مجلد ٣٥ / عدد ١ (ص ٩٩٧ - ٩٩٨) و [الإلحاد أسبابه وتداعياته وكيفية مواجهته] د. غادة رمضان امبابي رمضان - مجلة كلية الدراسات الإسلامية للبنين بأسوان مصر - عدد ٤ (ص ١١٩٥ - ١١٩٧).

والعامرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ** في سبب دخول التتار بلاد المسلمين وقتل خليفتهم وعلماهم وعامتهم، وتخريب حواضرهم العامرة بما لم يُسمع به من قبل: " وكان من أسباب دخول هؤلاء ظهور الإلحاد، والنفاق، والبدع " (١).

وصدق **رَحْمَةُ اللَّهِ**، فالذي أذَلَّ اليونان للرومان هو الإلحاد، حتى كَبَلُوهُمْ في قيود العبودية زمنًا طويلًا بعدما كانوا حكامًا في الأرض بلا معارض، وكذلك الفرس الساسانيون لَمَّا حمل عليهم المسلمون حملة واحدة أزالَت إمبراطوريتهم من على مسرح الحياة، وهزموهم شرَّ هزيمة في يوم من أيام الله، ولن ينسى التاريخ ما جرى للدولة الباطنية الملحدة في مصر، المتسماة كذبًا وزورًا بالدولة الفاطمية !! وتمكين الله للسلطان صلاح الدين الأيوبي **رَحْمَةُ اللَّهِ** من طي صفحاتها الآثمة من حياة المسلمين، وكذا ما دونه التاريخ في أسود صفحاته من جرائم الإسبان الصليبيين في الأندلس ضدَّ المسلمين الذين ألدوا في السياسة والعلوم والأخلاق، وقُلْ مثل هذا في أواخر الدولة العثمانية التي تهاوت بسبب دخولها في مذاهب منحرفة هي من جنس الإلحاد في الدين، فَسُلِّطَتْ عليها مهلكة الحرث والنسل عدوة البشرية أوروبا (٢).

(١) [مجموع الفتاوى] ١٣ / ١٨٠.

(٢) انظر: [الرد على الدهريين] لجمال الدين الأفغاني (ص ٣٣ وما بعدها) - مصدر سابق و[كيف سقطت الدولة العثمانية؟] لسليمان الخراشي (ص ٦) - ط/ دار القاسم بالسعودية و[أربعون سببًا من أسباب سقوط الأندلس] للدكتور عبد الحلیم عويس - ط/ دار الصحوة بمصر].

هذا السبب قَلَّ مَنْ نَبَّهَ عَلَيْهِ، وهو غني عن جعله السبب الوحيد، ولكنه من أهم الأسباب الجوهرية التي تقف وراء زوال الدول، وفناء الأمم والحضارات.

ولا نجد غضاضة في ربطه بواقع أمتنا الذليل، وتسلب أعدائها عليها من كل حدبٍ وصوبٍ؛ فهي لا زالت تتخبط في مناهج الشرق والغرب الإلحادية، ولا عزة لها ولا تمكين حتى تراجع دينها.

٥- إهدار حقوق الفرد والمجتمع، وتفكيك الروابط الاجتماعية والأسرية بين الناس بجعل القيم الأخلاقية ذات مفهوم نسبي لا ثبات لها، فهي تتغير من حين لآخر، والنتيجة: لا مبادئ ثابتة، ولا قيم راسخة، ولا أخلاق فاضلة.

وماذا بعد هدم كيان الأسرة وتفكيك روابط المجتمع؟!

٦- إفساد الفطرة الإنسانية، ومسح الجِبِلَّةِ البشرية، فهو يدفع أصحابه - بحكم أنهم مادة - إلى مشاكلة الحيوانات في خسائس الصفات، فلا تهذيب للنفوس، ولا تزكية للعقول، بل يقف بالعقول عن حركة الفكر، ويمنع النفوس عن قصد المعالي، فبدلاً من الترقى إلى عرش المدنية الإنسانية؛ إذا به يهوي بأصحابه إلى أسفل من البهيمية الحيوانية. وانظر إلى أكثر بلاد العالم إلحاداً (أوروبا وأمريكا) ترَ عجباً من ذلك لم يوجد في أمة، ولا دونه تاريخ قط مذ خلق الله آدم .

٧- وجود النزعة الفردية الأنانية عند أهل الإلحاد، فلا يفكر الملحد إلا في نفسه، وليس بغريب بعد هذا أن تكون الرأسمالية التي تُعظَّمُ تحصيل المال للفرد من إنتاجات الإلحاد، إذ نَمَتْ بسببها حركة التجارة، وقويت عجلة الصناعة، وُوجِدَتْ مليارات الأموال يملكها مليارديرات الأغنياء، وشعوب تعيش تحت خط الفقر، تموت وتفنى بلا رحمة.

كما ظهر بسبب النزعة الفردية الإلحادية مبدأ البقاء للأقوى اعتماداً على نظرية دارون اليهودي الملحد في البقاء للأصلح، وشهدت القرون الماضية وما تلاها حملات استدمارية، تَمَّ من خلالها احتلال الدول وغزو البلدان واستعباد الشعوب، وما موسوليني! وهتلر! وستالين! ولينين! وماوتسي تونغ! وبول بوت! وما حكومات الغرب الملحدة اليوم إلا أجزاء من منظومة فلسفية إلحادية عنصرية أنانية صنعت أسلحة الدمار الشامل، وقادت البشرية إلى الحروب في الشرق والغرب، وبسببهم قتل عشرات الملايين من الناس، ومورس القهر والتدمير، ونهبت الخيرات والثروات، ولا تزال كذلك، قال عالم الأثروبولوجيا الإسباني جوان كوماس: " وقد رَحَّبَ البيض أشد الترحيب بـ نظرية دارون Darwin الخاصة ببقاء الأصلح، واعتبروها قضية تؤيد وتدعم سياسة التوسع والعدوان على حساب الشعوب (المنحطة)، وقد جاءت نظرية دارون في الوقت الذي كانت الدول الكبرى فيه منشغلة بتأسيس إمبراطورياتها الاستعمارية، فساعدت الرجل الأبيض على تبرير أعماله بالنسبة لنفسه، وأمام غيره من بقية البشر " (١).

وقال المؤرخ الأمريكي وليم غاي كار (٢): " وكان هذا المذهب (فلسفة نيتشه) الأساس الذي تفرع عنه فيما بعد المبدأ الفاشيستي ثم المبدأ النازي " .

(١) من كتابه [خرافات عن الأجناس] ص ١٢- ترجمة محمد رياض - ط / مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بمصر].

(٢) في كتابه [أحجار على رقعة الشطرنج] ص ١٨- ترجمة: سعيد جزائري - ط / دار النفائس

وجاء في كتاب (الوجه الحقيقي للإلحاد)<sup>(١)</sup>: " فقد اتخذ هتلر من كتابات (نيتشه) نموذجاً للفلسفي، وشنَّ أكثر الحروب دموية وتدميراً في التاريخ التي لم يكن لها أيُّ مبرر، وقد غيرت شكل العالم على نحو يستحيل علاجه، ولا يمكن إنكار تأثير نيتشه على هتلر! ".

وهتلر نفسه هو القائل: " حَرَّرْتُ ألمانيا من الأوهام الغبية والمشينة المختصة بالضمير والأخلاق... وسندرب شباباً يقف العالم أمامهم مرتعداً! أريد شباباً قادرين على العنف، مغرورين ومستبدين، قساة لا يعرفون اللين " <sup>(٢)</sup>

ولما قامت الحرب العالمية الثانية بين دول المحور ودول الحلفاء، وكان جزء كبير منها يمس دولاً وشعوباً إسلامية؛ سعى كل طرف إلى كسب مواقف سياسية وعسكرية فيها بتشويه الطرف الآخر برميهِ بالإلحاد وهدم معالم الدين وتفجير المساجد وقتل المسلمين، وعمدت كلُّ من إذاعتي برلين ولندن على بثِّ تلاوات قرآنية لمشاهير القراء، ونشر منشورات دينية فيها آيات وأحاديث استغلت كدعاية تحذيرية للشعوب الإسلامية من إلحاد الطرف الآخر وكرهية الدين<sup>(٣)</sup>.

ولا نعدو الصواب إذا قلنا: إن أكثر الشرور والمظالم انتشاراً وأوسعها ميداناً بحيث شملت قارات الأرض الخمس كانت تقف وراءها مناهج إلحادية تشكلت

(١) [لرافي زكرياس (ص ٦٩) - ترجمة ماريانا كتكوت - ط/ رؤية للطباعة بمصر].

(٢) [المصدر السابق: (ص ٧٠)].

(٣) انظر [في سبيل الله والفؤهرر النازيون والإسلام في الحرب العالمية الثانية - ص ١١٩ وما بعدها] - ديفيد معتدل - نقله إلى العربية محمد صلاح علي - ط/ مدارات للأبحاث والنشر بمصر].



كردة فعل من ظلم الكنيسة وبابواتها ورهابينها، وإيغالها في ميتافيزيقا عقيمة، واستمرت في تصاعد حتى شمل مناحي الحياة متتهكاً نواميس الكون والحياة، ومُدنِّساً قدسيات الدين والأخلاق.

ولا أغشم حينئذ ولا أرهب من فكر عارٍ من العدل والإحسان، مُغتَسِلٍ بالرجس، مُتَدَثِّرٍ بعد ذلك بالفحشاء والمنكر !!

وإذا كان الإرهاب تطرفاً وجريمة؛ فالإلحاد كذلك، كلاهما تطرف وجريمة، وكلاهما خطر على الضرورات الخمس التي بها قوام الدين والدنيا. فَمَنْ يدعم الإلحاد لا يقل خطراً عَمَّنْ يدعم الإرهاب ! فلماذا تهتم الدول والحكومات بمحاربة الإرهاب ولا تهتم بمحاربة الإلحاد؟! وأكيد أن بعض الدول والحكومات أدركت مؤخراً أن رعاة الإلحاد هم أنفسهم رعاة الإرهاب.

فما الذي ورَّثَهُ الإلحاد بمبادئه ونظرياته في كوكبنا غير الفوضى، والفواحش، والفساد، والقتل، والحروب، وتخريب الكون، وتدمير الحياة، والتمرد، والقلق، والاضطراب، والشك، واليأس، والقنوط، والجنون، والانتحار؟

أي رسالة خير وسعادة حملها هؤلاء إلى البشرية؟

حقاً؛ إنه كما أن للنعيم رسلاً؛ كذلك للجحيم رسلاً.

اللهم اهْدِكِ كُلَّ مَلِكٍ إِلَى مَلِكِهِ وَنَهِّئِ كُلَّ نَفْسٍ إِلَى نَفْسِهَا





# الوقف (٦)

كيف نعالج الإلحاح ونواجهه؟





وأمام هذا كله فلن تجد البشرية الحياة الطيبة، والسعادة المطلوبة، وسكون النفس، وطمأنينة القلب إلا في دين الإسلام، الذي يُلَبِّي احتياجاتها الروحية والمادية في توازن كامل، وانسجام تام، بحيث لا يفصل بين الفكر والروح من جهة؛ والمادة والواقع من جهة أخرى، بل يعطي الدين حقه، والدنيا حَقها، قال الله الخالق الحكيم: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ (الشورى: ١٧)، قال الإمام ابن الوزير اليماني رَحِمَهُ اللهُ: " أنزل الكتاب لتعريف الحق الديني، والميزان لتعريف الحق الدنيوي " (١).

وظاهرة الإلحاد كغيرها من الظواهر المخالفة للجدادة التي يسير عليها البشر كلهم لها أسباب، وتعالج كغيرها بوسائل وطرق، منها ما يختص بالأفراد الواقعيين فيها، ومنها ما يقع على عاتق جهات تتوفر لديها الإمكانيات العلمية والمادية للتعامل مع ظاهرة الإلحاد بما يتناسب وتأثيرها، وهذا يُمَثَّلُهُ اتجاهان رئيسيان:

- ١- اتجاه تقوم عليه حكومات المسلمين عبر رجالها الذين يُقَدَّرُونَ الدين وفضائله وأثاره الحسنة على الفرد والمجتمع، وهذا من أوجب واجباتها الرئيسية.
- ٢- واتجاه يتولى مهمته أهل العلم، فهم الأقدرون على بيان الحق، وكشف زيف الإلحاد بالحجة البينة، والعلم الصحيح، والدليل القاطع، والقول الفصل، وما أحسن أن تتكاتف جهود كل من الحكومات الإسلامية والعلماء وتتناسق لتتكامل في تحقيق الدور المطلوب أمام تحديات الإلحاد وآثاره.

(١) [إيثار الحق على الخلق] ١ / ٣٧٠ - مصدر سابق].

## وسندمج عمليهما فيما يلي:

١- توجيه الوزارات المَعْنِيَّة كوزارة الشؤون الإسلامية والإرشاد، ووزارة الإعلام، ووزارة التعليم، وكذا وزارة الشباب والرياضة لِبَثِّ البرامج التوجيهية النافعة والمواد المفيدة التي تغرس الإيمان، وتعظم الدين في نفوس الناشئة والشباب، وترسخ البناء العقدي لديهم، وتردُّ شُبَّة الملحدِّين وظنوناتهم الفكرية، وما يستتبعها من ضرر وفساد على الفرد والمجتمع والحياة، بل الوجود كله.

ويدخل في ذلك إطلاق حملات التوعية والدورات والدروس التي تتناول موضوع الإلحاد تاريخاً ورموزاً وأفكاراً، وتعزز أصول الإسلام في الناس، وتزرع الثقة بدينهم عقيدة وشريعة، ونشرها في جميع وسائل الإعلام الرسمية وغير الرسمية، وكذا رفع التقارير القائمة على استقرار الحالة الإلحادية لوضع البرامج والخطط المناسبة لها.

٢- اعتناء الدرس الشرعي - بعد تحصيل المادة العلمية - بالمقصد الشرعي من الحكم، وإظهار التناسق بينه وبين مجموع الشريعة بعامة، وارتباط الغايات الكبرى للدين بالحياة والإله والمصير من أجل تعزيز اليقين، وترسيخ الاعتقاد، فاللهُمَّ وَفِّقْ شِيُوخَ الْعِلْمِ لِهَذَا.

٣- تشجيع الشباب على دراسة العلوم الإنسانية والتجريبية، والنبوغ فيها جمعاً بين العلم والإيمان، ودفعاً لوهم التعارض بينهما والذي تَرَبَّت عليه الأمة مؤخراً، ولم يكن له وجود عند أسلافنا الماضين.

وما أحسن أن ترى شاباً متخصصاً في الصيدلة مثلاً وداعياً إلى الله على بصيرة.

٤- إعداد أفلام علمية خاصة، ترسخ قضية الإيمان بالله، وتتناول آيات الله في الكون والحياة مع ربط ذلك بما في القرآن والسنة للتدليل على أن لا تعارض بين العلم والدين، والعقل والنقل، واعتمادها في مراحل التعليم المختلفة، ونشرها في وسائل الإعلام، لما لها من قدرة تأثيرية على عقل الإنسان ووجدانه ووعيه، بدلاً من تلك الأفلام التي تحاول غرس الإلحاد بنسبة ما يجري إلى الطبيعة دائماً كما في بعض القنوات الغربية والعربية!

٥- إنشاء مراكز بحثية، ومؤسسات علمية، ومواقع وقنوات إلكترونية في أنحاء العالم تُعنى بمتابعة ما يكتب في الغرب والشرق حول نقد الإلحاد، وتزييف نظريات دعائه، وترجمتها ونشرها بين الناس. وبحمد الله؛ ففي الساحة العلمية نماذج طيبة، وجهود مشكورة، والازدياد منها مع تنوعها مطلوب.

٦- التواصل مع الشباب والفتيات الذين تأثروا بموجة الإلحاد، وبيان حقيقة ما وقعوا فيه بالجواب على شبهاتهم وإشكالاتهم، ويتمثل هذا بإعداد فريق علمي متخصص يكون على دراية بعلوم الشريعة، ومعرفة بالمذاهب والفرق والأفكار والأشخاص والأقوال المنتشرة في الوسط الإلحادي خاصة، وغيره عامة، وتهيئة كل ما من شأنه تيسير القيام بعمله الواجب عليه في هذا الصدد (منصات ومساحات للحوار والنقاش).

٧- إحالة الملاحدة الذين ثبت إلحادهم في بلاد المسلمين إلى القضاء الشرعي، وإن الله لَيَنْزِعُ بالسلطان ما لا يَنْزِعُ بالقرآن، فَثَمَّ أحكام محددة تتعلق بالملحد: حكمه وتوبته وعلاقته بزوجته وأولاده وماله وموته ودفنه<sup>(١)</sup>.

(١) انظر مقالة [فقه الإلحاد] لمسعود صبري - موقع إسلام أون لاين] و [الإلحاد مفهومه =

ففوضى الملاحدة لا يصح أن تقابل بفوضى تُصَدِّرُ الأحكام جزافاً عبر أفراد أو جهات غير رسمية، بل مَرَدُّ ذلك إلى القضاء الشرعي الرسمي، فقد يتبين للقاضي أن سبب وجود الإلحاد عند الواقع فيه شبهات تحتاج إلى كشف وبيان، أو أنه أكره ومُورِسَ عليه ضغوطات قاهرة، أو أنه يعمل لجهات خارجية يرجو منها مالاً يُؤْتِلُهُ أو منصباً يُؤَمِّلُهُ أو لجوءاً يُؤَصِّلُهُ، أو غير ذلك من الأسباب التي من خلالها سيحكم عليه بما يناسب.

وهذا يؤكد أن كل حالة إلحاد " يتم التعامل معها على أنها حالة متفردة لها خصائصها المميزة من حيث النشأة، والظروف البيئية، والأحوال النفسية " (١).

وإذا كان لا يجوز أن تقابل فوضى الملاحدة بفوضى الأحكام؛ فكذلك لا يجوز أن تبقى فوضى الملاحدة تفيض على الناس حتى تصير الدين البديل، ويغيب من النفوس دين الله الأصيل، فحفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال من ضرورات وجودنا، والإلحاد يُخِلُّ بها، ويعرضها كلها للزوال، لما فيه من انحراف عقدي وفكري خطير، ووجوب حِفْظِهَا عَلَى مَنْ وَلاَهُ اللهُ أمر المسلمين قائم، والحجة بالغة، والنصيحة واجبة، والنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ اسْتَرْعَى

= وأسبابه وعلاجه وسبل مواجهته ومخاطره في الفقه الإسلامي) د. سعدية فتح الله دسوقي الجزار - بحث على الشبكة - مجلة قطاع الشريعة والقانون كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر - مج ٨ عدد ٨ (ص ٦٨٠) وما بعدها.

(١) كما في بحث [الإلحاد المعاصر سماته وآثاره وأسبابه وعلاجها] لسوزان بنت رفيق المشهراوي - مجلة كلية الدراسات الإسلامية بالأزهر - مجلد ٣٥ / عدد ١ (ص ٩٧٤) و[الإلحاد مفهومه وأسبابه وعلاجه وسبل مواجهته ومخاطره في الفقه الإسلامي] ص ٦٣٩ - ٦٤٠ - مصدر سابق]



رَعِيَّةٌ؛ فَلَمْ يُحِطْهُمْ بِنَصِيحَةٍ؛ لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَرِيحُهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ»  
رواه أحمد (٢٠٣١٥) والطبراني (٤٧٣) وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على  
مسند الإمام أحمد (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: " ومتى اهتمت الولاية بإصلاح دين الناس؛  
صلح للطائفتين دينهم وديانهم، وإلا اضطربت الأمور عليهم " (٢).

٨- سَنُّ تَشْرِيعَاتٍ تُجَرِّمُ الْإِلْحَادَ، وَتَحُدُّ مِنْ نَشْرِهِ وَانْتِشَارِهِ، وَتَبِيحُ لِلجِهَاتِ  
الرَّسْمِيَّةِ مَلاحِقَةَ دَعَاةِهِ وَمَرُوجِيهِ، وَغَلْقُ أَيِّ وَسِيلَةٍ تَدْعُو إِلَيْهِ (شَبَكَاتٍ وَمَنْصَآتٍ)  
وغيرها، جاء في القرار الرابع ضمن بيان المجمع الفقهي الإسلامي في دورته  
الحادية والعشرين المنعقدة في المدة من (٢٤ - ٢٨ / ١ / ١٤٣٤هـ) الموافقة لـ (٨ -  
١٢ / ١٢ / ٢٠١٢م) حول تنامي بوادر الإلحاد في بعض المجتمعات الإسلامية ما نصه:

" ٤- دعوة الحكومات الإسلامية إلى القيام بمسؤولياتها بالتصدي لبوادر  
الإلحاد، والوقوف أمام ذرائعه، ووسائل استنباته في هذه الأمة، ومنع قنواته وطرائقه  
ورموزه من التمكن من وسائل التوجيه والمخاطبة للأجيال؛ حماية للدين  
والمقدسات، وحفظاً لاستقرار المجتمعات المسلمة ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي  
الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ  
عَلَقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج: ٤١) " (٣).

(١) [مسند الإمام أحمد بن حنبل] ٣٣ / ٤٢٧ ت - شعيب الأرناؤوط وصاحبيه - ط / مؤسسة  
الرسالة بلبنان].

(٢) [مجموع الفتاوى] ٢٨ / ٣٦١].

(٣) موقع المجمع على الشبكة بالرابط: [https://ar.themwl.org/node/40].

ولا علاقة لهذه السياسة الحكيمة الحازمة بحرية الرأي، فكل حرية لها سقف محدود لا تتجاوزه، لأنه لا يوجد حرية مطلقة في أي مكان في العالم، ولا حتى في أعرق الدول ديمقراطية وأكثرها ليبرالية، بل هذا مخالف للعقل والواقع، وهما دولتا روسيا والصين تحاربان الشذوذ وتمنعانه بقوة، ولم تباليا بصراخ دعاة الحرية وتباكيهم على حقوقهم الشاذة النَّتِيئة !!

وكما يجب على كل مواطن احترام دستور بلاده وثوابته الوطنية، والمحافظة عليها، وحمايتها من أي خطر يهددها، وعلى كل زائر لأي بلد أن يحترم قوانينها ونظامها، وإن أَخَلَّ حُوكِمَ وَعُوقِبَ؛ فكذلك للإسلام نظامه ومبادئه وثوابته التي مَنْ تَعَدَّاهَا حُوكِمَ وَعُوقِبَ بما هو منصوص عليه في شريعته.

وقد نَصَّبَ الدول العربية والإسلامية في دساتيرها على أن الإسلام مصدر تشريعاتها، ودين الإسلام له خصائصه وأحكامه التي لا يمكن تجاوزها أو الإخلال بها، فيجب عليها حفظه عقيدةً وشريعةً، وأيُّ قيمة لحرية تنتهك دستور البلاد في أول موادها الدستورية؟

ومن خلال ما سبق نلاحظ أن آلية علاج ظاهرة الإلحاد شملت حال ما قبل التأثير بها، وهذا مسلك الوقاية، وحال ما بعد التأثير بها، وهو مسلك العلاج.

ولاحظنا أيضاً علاجها عبر العمل المؤسسي الذي تضطلع به الدول والحكومات، مضافاً إليها جهود العلماء كأفراد ومراكز علمية متخصصة في الشأن الإلحادي.

يبقى؛ ما الذي يتوجب فعله لمن وقع في حمأة الإلحاد أو تأثر بشبهاته واغترَّرَ بتمويهاته من الأفراد؟ كيف يتخلص منها ويتعافى من شرورها المظلمة وآثارها السوء النكداء؟

**لتحقيق ذلك أمور، منها:**

- ١- الانفتاح على تلقي العلم والمعرفة من المصادر الإيمانية التي طالما أغلق نفسه عن الاستفادة منها، ووقف ضدها بقوة تدافعُ بجهل وإعراض.
- ٢- اكتساب مهارة الوعي والتفكير السليم الذي من خلاله يُميّز بين حقائق الأشياء والحالات وتصنيفاتها، بل عليه أن يتعلم تحليل ما يشعر ويقرأ ويشاهد، ويُميّز بين ما له علاقة بالعلوم الإلهية ومعارف البشر التي أنتجتها عقولهم، بحيث لا يكون صورة طبق الأصل لغيره، مقلداً لهم، مردداً ما عندهم بدون إثارة من علم، ولا نور من عقل، وهو يظن أنه من العقلانية والحرية بمكان! ويتفرع منها:
- ٣- القدرة على الفصل بين الشبهة الفكرية والتجربة النفسية، فكثيراً ما تتوارى التجارب النفسية القاسية وراء الشبهات الفكرية، وأخاديع النفس تخلط هذا بهذا، ويتم إقناع النفس والغير بأن سبب التحول للإلحاد قراءات فلسفية، ومطالعات علمية، وجدل معرفي، واشتغال أدبي<sup>(١)</sup>.
- ٤- الرجوع إلى أهل العلم، وسؤال المتخصصين في قضايا الإيمان والإلحاد كلما جدّت في القلب شبهة، وثار في العقل رأي، وجال في النفس خاطر، فكلنا معرضون لهذا، وعليه أن لا ينخدع بتزيين الشيطان بإشعاره بالخوف والخجل من السؤال عنها ليصده عن معرفة الحق، وكشف ما يلتبس به من الباطل.
- ٥- استبدال المؤثرات السلبية بأخرى إيجابية، أعني ترك بيئة الإلحاد بجميع مؤثراتها كالدخول إلى مواقع الإلحاد، وقراءة كتب كهنته الملحدين، ومجالسة

(١) انظر [خطوط عريضة في التعامل مع الأسئلة الوجودية الكبرى] د. عائض بن سعد الدوسري

- موقع إثارة] بتصرف.

الشكوكيين والحيارى والتائهين، وصحبة اللادينيين واللاأدريين، فالمرء على دين خليله، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لَا تُصَاحِبُ إِلَّا مُؤْمِنًا**» رواه ابن حبان (٥٥٥) وصححه العلامة الألباني في التعليقات الحسان (٤٤ / ٢)

مَا عَاتَبَ الْحُرَّ الْكَرِيمُ كَنَفْسِهِ وَالْمَرْءُ يُضْلِحُّهُ الْجَلِيسُ الصَّالِحُ  
 وشتان بين قلب كالسفنجة وقلب كالزجاجة، فالأول يشرب كل شيء، والثاني يميز الخبيث من الطيب.

٦- قراءة القرآن بخشوع وتدبر، ومعرفة معاني آياته، وربط ذلك بالواقع المعاش، ففيه منجاة من الفتن، وعصمة من الشبه، وهو مليء بالأجوبة الكاشفة عما في النفس، الشافية لأمراض القلب، المريحة من إرهاقات الذهن، المعيدة من كيد الشيطان ووسوسته.

٧- دعاء الله بالهداية والإيمان، ومن أحسنها: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيَّ الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قَلْبِي، وَكَرِّهْ إِلَيَّ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ**».

فَافْزَعْ إِلَيَّ اللَّهُ وَأَقْرِعْ بَابَ رَحْمَتِهِ فَهُوَ الرَّجَاءُ لِمَنْ أَعْيَتْ بِهِ السُّبُلُ  
 وَأَنْظُرْ إِلَيَّ قَوْلِهِ: ﴿**أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ فَذَلِكَ قَوْلٌ صَحِيحٌ مَالَهُ بَدَلٌ

٨- السعي إلى إصلاح النفس ظاهراً وباطناً، وتركيتها بالإيمان والعمل الصالح، ومجاهدتها على طاعة الله ومرضاته للخروج من ضلالات الإلحاد وأهله، وربنا الخالق الحكيم يقول: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (العنكبوت: ٦٩)، وبالله التوفيق، لا رَبَّ سِوَاهُ.





# الوقف (٧)

شَهْتَانُ وَالْجَوَابُ عَلَيْهِمَا





دين الإلحاد العدمي قائم على شبهات باطلة تخالف العقل والفطرة، وتصطدم مع العلم والتجربة، ولا يزال أهله يبثون بين الفينة والأخرى الشبهات والتشكيكات، ويطرحون أسئلة مفتوحة لا حدود لها، ولا تستثني باباً، ولا تقف عند حدٍّ، استرسالاً مع خيالاتهم اللامعقولة، وفرضياتهم المعلولة.

ومن أكثر الشبهات التي تتكرر على ألسنة الملحدين؛ شبهتان يظنون أنهما خطيرتان، ولأهل الإيمان دامغتان، قد راجتا في الشرق والغرب، سيعرض البحث صورتيهما، والجواب عليهما بما يبين أنهما داحضتان مأفوكتان.



## (الشبهة الأولى)

قالوا: ما لا يُرى لا وجود له، والله لا يُرى، إذاً الله غير موجود!!

سبحان الله!! إنه لمن المؤسف أن يُجادل في أيقن اليقينيات، وأعرف المعارف، ويصير لهذا الجدل أنصار وأشباع، فما أصبر الله على الملحدين!! فالفطرة الإنسانية السليمة تشهد بوجود الله ضرورة، ولا يستقيم بداهة العقول الخوض في إثبات وجود الله ونفيه، لأن برهان الوجود لا يحتاج إلى وجود برهان، لأن الوجود برهانه، مع أن القول بنفي وجود الله لا يكاد يعرف في البشر إلا في شذمة قليلة منهم، قال عنهم الإمام أبو الفتح الشهرستاني رَحِمَهُ اللهُ: "أما تعطيل العالم عن الصانع العالم القادر الحكيم فلست أراها مقالة لأحد، ولا أعرف عليه صاحب مقالة إلا ما نقل عن شذمة قليلة من الدهرية" (١).

وإن شغل العقل بالكلام في إثبات وجود الله ومناقشة مُعْطَلِيهِ من الوجود لهو استهانة به، ولا يوجد من عنده بقية عقل يُبدى ويُعيد في بحث هذا الأمر، ولكن عندما فَقدت تلك النفوس عقولها وجب استنقاذها وردّها لتنعم بنعمة العقل، وتعود إلى وصف الإنسانية الذي وصفها الله به.

(١) [نهاية الإقدام في علم الكلام] ص ١١٨ - حرره وصححه ألفريد جيوم - ط / مكتبة الثقافة



## أما هذه الشبهة فالجواب عليها أن نقول:

نحن لا نسلّم بالنتيجة ولا بمقدمتها، فالله **جَلَّ جَلَالُهُ** عندنا يُرى كمبدأ من حيث الأصل، ولكن ليس في الدنيا بل في الآخرة، وعالم الآخرة ليس كعالم الدنيا.

ثم هذا الزعم الذي زعمتموه دعوى لا تستند إلى دليل علمي، لأنه ارتيادٌ لغيبٍ لا مجال للعلم المادي لإثباته، ولا يخضع للتجارب والقياس، ولا يُوصَلُ إلى النتيجة التي أردتموها، فليس كل ما لا يرى غير موجود، فالأشياء التي لا نراها نحن وأنتم؛ ونؤمن بوجودها نحن وأنتم أيضاً كثيرة جداً، لا حصر لها، ولهذا؛ فنحن نطالبكم بإثبات دعواكم هذه: (ما لا يرى لا وجود له) ما هو برهانكم عليها؟ ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (النمل: ٦٤)

أما نحن فنقول: خذوا الجاذبية مثلاً؛ حقيقة من الحقائق العلمية الطبيعية لدى العلماء الماديين، وقانونها أحد أهم ثوابت الفيزياء، ومع ذلك فهي لا تُرى قطعاً، وليست بشيء مادي محسوس يستطاع التعبير عنه كما في المحسوسات والمرئيات، وهي من جنس (ما يُعرف ولا يُوصَفُ)، وفي حيرة مطبقة على جميع العلماء حول لغزها يقول إدوارد هيوي: "إن قانون الجاذبية من أهم قوانين الطبيعة، رغم أن الجاذبية نفسها ما زالت لغزاً عميقاً مجهولاً" (١)، فهي - أي الجاذبية - شاهد على انتقاض دعواكم وبطلان نتيجتها، لأنكم تقررون بها وهي غيب لا يُرى، والله المثل الأعلى؛ فكيف تنكرون وجود الله الذي وجوده أعظم وجود لمجرد كونه

(١) [(كيف تدور عجلة الحياة؟) ص ١١٧ - بواسطة (الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية)

د. يحيى هاشم حسن فرغل (ص ٨٧) ط/ دار الآفاق العربية بمصر].

خارجاً عن نطاق الإدراك الحسي، ولا تستطيع الأجهزة المتطورة إدراكه ومشاهدته؟! (١).

وقولوا مثل ذلك في الكهرباء التي تسري في الأسلاك لِتَشْعَلَ السُّرُجَ والمضخات والمحطات وجميع الأجهزة المتعلقة بها، فهي شيء لا يرى، ولا يمكن جعلها قابلة للتصور في شكل مادي، والبشر مطبقون على وجودها لما يرون من أثرها.

وكذا ما يسمى بالمجال الكهر ومغناطيسي، والذَّرَّة ومكوناتها من النواة والنيوترونات والبروتونات والإلكترونات وغيرها؛ أجمع العلماء اليوم على وجودها، بما فيهم علماء ملحدون متخصصون، ويستحيل على العلم تصويرها، لأن هذا شيء يفوق علم البشر وقدراتهم، فَكُتِرُ الذَّرَّة - كما يقولون - يبلغ واحداً بالمليون من المليمتر، ولا يمكن للإنسان أن يتصور مثل هذا الصغر المتناهي في خياله (٢).

قال جيمس كولمان: "إننا لا نستطيع رؤية الذرة حتى لو استخدمنا أقوى ما نملك من المجاهر، وعلاوة على ذلك؛ فإن سرعة الإلكترون في مداره حول النواة تبلغ حوالي (١ / ١٠٠) من سرعة الضوء، وهي سرعة لا تَمَكِّننا من رؤيته بأية طريقة" (٣)، وإذاً؛ فهي رؤيا في ضمير العلماء ووجدانهم، آمنوا بها من آثارها.

(١) وانظر [صراع مع الملاحدة حتى العظم] لعبد الرحمن حسن جبنكة الميداني (ص ٩٠ ط) دار القلم بسوريا].

(٢) انظر [الروعة في كل مكان] لهارون يحيى (ص ١٠٥) - ترجمة مصطفى السيتي].

(٣) [النسبية في تناول الجميع] ص ٧٥ - بواسطة (الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية)

وعن طريق الاستنباط حكم العلماء على أن باطن الأرض حار بسبب ما تقذفه البراكين عند ثورانها من حممٍ ومقذوفات بركانية وما يتولد بعدها من أنهار بركانية شديدة الحرارة، مع أنهم لم يعاينوا باطنها الشديد الحرارة وهو يدفع الصخور والمعادن المشتعلة إلى أعلى!!

هذه الأمثلة وما شابهها داخلة في الغيب الذي لا يُرى، لأن الإدراك البشري لا يحيط به، وهو علم غيبي معترف به لا يجادل في وجوده أحد يحس أو يشعر، ويسمى بـ (الموجود المغيب) كالروح، ويقابله (المعدوم الغائب) كوحش السباغيتي (المعكرونة) الطائر إله ديانة الباستافارية الجديدة المخترعة حديثاً عام (٢٠٠٥م)!!! فالأول حقيقة غير منظورة، والثاني خرافة غير مقبولة (١).

وكل هذا يؤكد بما لا مجال للشك فيه - فضلاً عن الإنكار - أن التجربة الحسية ليست هي المعيار الوحيد للوجود، وأن طريق المعرفة لا ينحصر فيها.

وحينئذٍ؛ فهل سيعادي الإلحاد هذا العلم المغيب كما عادى الله عزَّ وجلَّ أم سيتناقض؟ أم سيقرُّ ويُعيد للإنسان فطرته الأولى؟

ولهذا؛ فالعلم (الحقيقة) كما هو في الواقع لا يجتمع مع الإلحاد (الخرافة) أبداً، قال عالم الأحياء والأنثروبولوجيا البريطاني توماس هنري هُكسلي: "إن الإلحاد على الأسس العلمية غير قابل للتحمُّل" (٢).

(١) وانظر [لن تُلحد] ص ٢٠٩ - مصدر سابق].

(٢) كما في [موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين] لمصطفى

صبري (٢/ ٢٧٧) ط/ دار إحياء التراث العربي ببلنن].

وإذا كان العقل البشري عاجزاً عن تفسير كثير من الظواهر النفسية والطبيعية وكُنْه وجودها فهو أعجز عن أن يحيط بالله علماً، وإدراكاً لِكُنْه ذاته، وفي هذا يقول روجر باكون أحد الفلاسفة الكبار: "إنه لا يوجد عالم من علماء الطبيعة يستطيع أن يعرف كل شيء عن حقيقة ذبابة واحدة وخواصها، فضلاً عن أن يعرف كنه ذات الله" (١).

ولهذا لم نجد القرآن "يحدثنا عن كنه ذاته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لأنها أكبر وأوسع من عقل الإنسان، ولأن العاقل إنما يبحث فيما يعود عليه بالنتفع، وكذلك في مسألة البحث عن جوهر وحقيقة الروح، وجانب معرفة الغيب واستطلاع المستقبل... وفيما عدا ذلك أفصح المجال والاستدلال وفتح الطريق، وجعل له الكون كله مسرحاً للتأمل والتقصي والبحث، وتلك هي الواقعية البناءة التي تسهم في إسعاد الإنسان، لأنه لم يتعد عن عالمه، ولم يخرج عن محيطه" (٢)، والله الخالق الحكيم يقول عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١) فكيف يُقاس على غيره؟! قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ** معللاً: "لأن التفكير والتقدير يكون في الأمثال المضروبة والمقاييس، وذلك يكون في الأمور المتشابهة وهي المخلوقات، وأما الخالق **جَلَّ جَلَالُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فليس له شبيه ولا نظير، فالتفكير الذي مبناه على القياس ممتنع في حقه، وإنما هو معلوم بالفطرة" (٣).

(١) كما في [(المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام) لعللي بن نايف الشحود (٢/ ١٦٦)].

(٢) من [(الاستدلال القرآني ضروري لدارسي المنطق) د. صلاح محمود العادلي - حوليات

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر - عدد ٢٦ ج ٣ (ص ٦١٥ - ٦١٦)].

(٣) [(مجموع الفتاوى) ٤/ ٣٩ - ٤٠].

ومن هنا جاءت القاعدة الإسلامية في تصور الذات الإلهية: "كل ما خطر ببالك؛ فالله بخلاف ذلك"، فمهما بلغت علوم البشر فلن يحيطوا بالله علماً، وقد قطع الله العليم المتعال عنهم فقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (طه: ١١٠) وما ذاك إلا لأن العقل البشري محدود في إمكانياته ومجالاته، قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: "إن للعقل حَدًّا ينتهي إليه، كما أن للبصر حَدًّا ينتهي إليه" (١).

**ماذا لو قال أحدهم للملحد:** أين جدك الثالث؟ وهو أقرب ما يمكن ذكره من أجداده الذين لم يره، هل رأيت؟ هل تؤمن بوجوده؟ أم ستمارس الجنون كعادتك فتنكره لأنك لم تره؟ هل تعي ماذا يعني إنكارك لوجوده؟

**وماذا لو قلنا للملحد:** لم تؤمن بنظرية التطور حتى جعلتها ديناً وعقيدة - شأن كل غائب ماضٍ أو مستقبلٍ - وأنت وكل تطوُّريٍّ؛ بل وداروين نفسه لم ير بعينه أي نوع يتطور إلى نوع آخر حقيقي؟ لم تمارسون معها فلسفة التسليم لما جاء فيها، ولا تعرضونها على قاعدتكم المطلقة: (لا يوجد حقيقة مطلقة)؟! لم كان التسليم للنص الشرعي الديني معيباً ويتنافى مع العلم؟! وأما نظرية داروين والفلسفات والمذاهب الإلحادية من جدلية مادية وبراجماتية ووضعية ووجودية فكلها حقائق مطلقة؟! وكانت فلسفة التسليم لما جاءت به حقاً لا يقبل النسبية ولا الشكوية؟!

**ولو سألنا الملحد:** ألسنت تفرح؟ ألسنت تحزن؟ ألسنت تحب؟ ألسنت تبغض؟ سيقول في كلها: بلى... حينها نقول له: فسّر لنا أوصاف هذه المشاعر؛ من أي شيء

(١) كما في [آداب الشافعي ومناقبه] للإمام ابن أبي حاتم الرازي - ت: عبد الغني عبد الخالق

هي؟ ومِمَّ تتكون؟ وأين توجد؟ لن يجد لذلك جواباً ولو عاش آلاف السنين، وحاز علوم الأولين والآخرين.

وإن أعرابياً يقود بعيره في صحراء جرداء قاحلة، حيث لا معامل ولا مناظير ولا قوانين؛ أعقل وأعلم من علماء الإلحاد ومفكريه كلهم! فقد سُئِلَ: ما الدليل على وجود الرب تعالى؟ فأجاب: يا سبحان الله! إن البعرة لتدل على البعير، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؛ ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟! (١).

وهذه طريقة برهانية استدلالية ترغم العقل على الإيمان، فالعين نظرت إلى كل ذلك لكن ليس من عملها أن الأثر يدل على المؤثر، بل هذا من عمل العقل، هذه الطريقة عرفها هذا الأعرابي الأمي وجهلها أو تجاهلها أولئك!! فمن أحقُّ بالعلم والعقل أيها الناس!؟

### ولله دَرُّ القائل:

فَزَادَ الْيَقِينُ بِقَلْبِ رَاكَ  
بَدَائِعُ صُنْعِكَ بَعْضُ نَدَاكَ  
جِبَالاً وَأَنْتَ رَفَعْتَ السَّمَاءَ  
وَإِنْ نَوَّرَ الْبَدْرُ لِي فِي سَمَاكَ  
وَتَنَهَّلَ رُوحِي فَيَضُ بِهَاكَ  
وَذُقْتُ النَّعِيمَ الَّذِي فِي رُبَاكَ  
فَلَا تَحْرِمَنَّ كُلَّ عَبْدٍ رَجَاكَ

رَأَيْتَكَ رَبِّي فِي كُلِّ شَيْءٍ  
فَفِي الزَّرْعِ فِي الضَّرْعِ فِي الْإِنْسِ بَانَتْ  
بَسَطْتَ لَنَا الْأَرْضَ أَرْسَيْتَ فِيهَا  
لَكَ الْحَمْدُ فِي كُلِّ طَلْعَةِ صُبْحٍ  
وَبَيْنَ يَدَيَّ كِتَابُكَ أَتْلُو  
أَنَا مُسْلِمٌ قَدْ شَرِبْتُ الْأَمَانَ  
وَعَدْلُكَ يَارَبِّ فَاقِ الْوُجُودَ

(١) [تفسير ابن كثير] ١/ ١٩٧ ت - سامي السلامة - ط/ دار طيبة بالسعودية.

وبعد هذا كله:

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَٰهُ      أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ  
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ      تَدُلُّ عَلَيَّ أَنَّهُ وَاحِدٌ

وهذا هو التكامل في وضوحه بين الوجود وموجده سبحانه:

قَدْ أَفْلَحَ الْمَاضُونَ فِي رَكْبِ الْهُدَى      وَتَحَرَّرُوا مِنْ قَبْضَةِ الشَّيْطَانِ  
يَتَفَكَّرُونَ بِأَيِّ خَالِقِنَا الَّتِي      نَطَقْتَ وَتَدْعُونَا إِلَى الْإِيمَانِ

ولا تبعد فلسفة نيوتن العالم الفيزيائي الشهير عن جواب ذاك الأعرابي، فعندما سئل عن وجود الخالق أجاب: "من الواضح الجلي أنه لا يوجد سبب طبيعي يمكن أن يُعزى إليه توجيه جميع الكواكب وتوابعها للدوران في وجهة واحدة وعلى مستوى واحد دون أن يحدث فيها أي تغيير يذكر! فمجرد النظر لهذا التدبير يُشعرُ بوجوب قدرة إلهية تُحدِثُهُ" (١).

والفطرة تقود الإنسان إلى ضرورة: (ما من حادث إلا وله مُحدث)، وفي النفس تعلق بالخالق لا انفصام عنه، كيف وهو الرب المنعم الرازق المدبر الحي القيوم الذي به حياة وقيام الوجود كله؟ ها هو يخاطبنا نحن البشر مذكراً لنا بنعمه علينا محرراً المدارك العقلية والمشاعر الوجدانية فينا لننظر في آياته السماوية والأرضية الدالة عليه سبحانه فيقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٣﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالتَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٤﴾﴾

(١) بواسطة [الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه] لعطية صقر (ص ٢٠١) ط/ مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بمصر.

وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ  
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمُ فِي الْأَرْضِ مُمْتَخِنًا  
 أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ  
 لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ  
 مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَالْقَلَى فِي الْأَرْضِ  
 رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ الْبِلَاقِلَ  
 هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ (النحل: ١٠-١٧)

ويقول: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿١٠﴾  
 وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ  
 مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ السِّنِّتِكُمْ وَالْوَالِدِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ  
 ﴿١٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنْامِكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
 لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ  
 السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ  
 ﴿١٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا  
 أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿١٥﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَائِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ (الروم: ٢٠-٢٦)

فأين يجد الإنسان وهو يقرأ هذه الآيات البينات وأمثالها كلاماً مثل هذا يخاطب  
 العقل والوجدان في آنٍ واحدٍ؟! آيات تستحته على أن يُعْمَلَ جميع انفعالاته  
 (يَتَفَكَّرُونَ - يَعْقِلُونَ - يَذَّكَّرُونَ - يَسْمَعُونَ - تَشْكُرُونَ) كل هذا يكشف لنا دور العقل  
 الصحيح، وهو أنه وسيلة لاكتشاف الحقيقة، وليس مصدراً للحقيقة.



ها هو الكون بعلويّه وسُفليّه ناطق بصنع الله وإتقانه، ورحمته وقدرته، وإبداعه وعظمته؛ وهاتيك النعم تشير إلى مقومات وجود الإنسان وتسخيرها له من الرب الرحيم، وهذا أنجع ما يكون في القلوب، وأشد تأثيراً على الوجدان.

وتعطيل الحواس مع وجود الدلائل الواضحة والشواهد اللائحة يهبط بالإنسان إلى مرتبة الحيوان، بل الحيوان يكون حينها أفضل رتبة منه، قال الله الخالق الحكيم:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ (الأعراف: ١٧٩).

وإذا كان الإيمان يكون بالفطرة؛ فمنه ما يكون بالتجربة، فليُجرب هذا من فقد الإيمان واستهوته الشياطين، ولعبت به الأهواء !! كل ما عليه هو أن يحيي ما أمات من عقله وبصيرته، ثم ليضبط منظره، وسيرى الحياة والوجود بوضوح (١).

سبحان الله ! كم من ملحد تجده عالماً في الطب أو في الفلك أو في طبقات الأرض بحرماً وبرها، يدقق في علمه، يحلل ويستنتج ويقرر، وفي خضم انهماكه في علمه يحجب عقله بالصنعة عن الصانع، وبالكواكب عن مكوكبها، وبالأرض عن داحيها، وبضبط الخلق وإتقانه وإبداعه عن بديع السماوات والأرض، ولو أعطى العلم حقه لكان من أقوى الناس إيماناً لأنه اطلع من حكمة الله وباهر آياته، وعجائب صنعته الدالة عليه، وعلى علمه وقدرته وحكمته على ما خفي على

(١) مقال [لماذا الإلحاد.. والإيمان حق؟!] لخالد محمد خالد - مجلة الدوحة (عدد ١٠/ ص

غيره، ولكن ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾  
(الحج: ٤٦).

ولما ذكر الحافظ ابن كثير **رَحْمَةُ اللَّهِ** جواب الرسل للأمم التي شككت في وجود الله قائلين لهم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (إبراهيم: ١٠) قال: "أفي وجوده شك؟! فإن الفطرَ شاهدة بوجوده، ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطرِ السليمة، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده، ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم إلى طريق معرفته بأنه ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لها من صانع، وهو الله لا إله إلا هو، خالق كل شيء وإلهه ومليكه" (١).

يا ملاحظة العالم: "إن وجود الربِّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أظهر للعقول والفطر من ظهور الشمس وضياء النهار، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهم عقله وفطرته" (٢).  
ثم العلم بالأشياء ووجودها؛ هل طريق الوصول إليه لا يكون إلا بالمشاهدة والحس؟ بمعنى: هل قضى العلم التجريبي على كل طريق للمعرفة سواه؟

(١) [تفسير ابن كثير] ٤/ ٤٨٢ - مصدر سابق].

(٢) من خطبة للشيخ د. صالح بن حميد حول حقيقة الإلحاد وشؤمه من منبر المسجد الحرام بتاريخ ٢٣ صفر ١٤٤٥هـ.

إنه لمن السطحية القول بأنه: (لا سبيل لمعرفة أي شيء إلا بالتجربة والمشاهدة) لأن هذه الجملة تحمل في نفسها تناقضاً ذاتياً، لأن نفس هذه الجملة يستحيل الاستدلال عليها بالتجربة، فهي مقولة تبطل نفسها .

إن العلم التجريبي سيخبرنا كيف نصنع قنبلة؟ ولكنه لن يجيبنا عن ماذا ينبغي أن نفعل بها؟ (١).

ولا يستطيع أن يحدد لنا قيم الأشياء من حسن وقبح، وصواب وخطأ، وليس مجاله المشاعر والأحاسيس، ولا يدرك سببية العلاقة بين الأشياء، فهذه مجال معرفتها العقل والوجدان.

من ذا الذي يجادل في كفاية العلم التجريبي بعد " فشله في تلبية أشواق الإنسانية إلى المعرفة والقيم، وأصبح كثير من المفكرين العصريين يعلنون: إنه ليس بالعلم وحده يحيا الإنسان " (٢)؟

وإنه لعجب عجب قصر المعرفة على التجربة الحسية !!! فأين كان عقل قائل هذا الزعم؟ هل شاهد عقله وتحسسه بيده؟ لقد أدرك وجود عقله بآثاره، ولولا العقل لما أجدت التجربة والإحساس نفعاً (٣).

(١) انظر مقالة: [ هل قضى العلم التجريبي على كل طريق للمعرفة سواه؟ ] - أحمد فتح الباب وآخرون - موقع إضاءات .

(٢) [ تسونامي ومشكلة الشر والنجاة من البلاء ] مقال بقلم د. يحيى هاشم حسن فرغل / ضمن موسوعة البحوث والمقالات العلمية جمع وترتيب وتنسيق علي بن نايف الشحود .

(٣) انظر [ موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين ] ٢ / ٣١٢ - ٣١٣ - مصدر سابق .

ومن طرائف الأجوبة في هذا المقام ما جاء في قصة يقال إنها حدثت في مدرسة ابتدائية، حيث وقف المعلم أمام الطلاب قائلاً: أتروني؟ قالوا: نعم، قال: فإذا أنا موجود! أترون اللوح؟ قالوا: نعم، قال: فاللوح إذن موجود! أترون الطاولة؟ قالوا: نعم، قال: فالطاولة إذن موجودة. قال: أترون الله؟ قالوا: لا، قال: فالله إذن غير موجود!!! فوقف أحد الطلاب الأذكياء وقال: أترون عقل الأستاذ؟ قالوا: لا، قال: فعقل الأستاذ إذن غير موجود (١).

ومن واجب القول هنا: التأكيد على أنه ليس صحيحاً أن يقبل المؤمن من الملحد منع الاستدلال بالقرآن أثناء الجدل والمناظرة، فكلام الله الحجة البالغة على الخلق أجمعين، والكاشف لحجج المبطلين؛ فيه من الأدلة العقلية التي تجدد الفطرة، وتخاطب العقل وتستحثه على النظر والاستدلال ليرى ما حوله من العوالم عشرات الآيات بل مئاتها وهي تلزمه بضرورات عقلية تقوده إلى الاعتراف بالخالق سبحانه، ولو أخذ الملحد - مثلاً - قول الخالق الحكيم: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ...﴾ (الأعراف: ١٨٥)، وقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي ٱلْأَبْصَارِ﴾ (آل عمران: ١٩٠)، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٥) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿

(١) [علم الغيب بين الوحي والعقل] د. يحيى مراد (ص ٧٣) ط/ دار الكتب العلمية بلبنان.

(يونس: ٥-٦) لوجد فيها ما يتضمن الأمر بإعمال الفكر وتقليب النظر فيما فوقنا وما حولنا من العوالم، وأما في خلقنا نحن معشر بني آدم فسيجد أمامه قول الله الخالق الحكيم: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١) أليس عجباً أن يكون الإنسان هو الدليل والمستدل بهذا الدليل على الله الخالق الجليل؟! أم كيف يطلب الدليل على مَنْ هو على كل شيء دليل؟! وإن لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق.

ولم يكن للبشرية وقت نزول هذه الآيات وأمثالها أول مرة من العلوم والمعارف ما لديها اليوم، فقد اتسعت معارفها، وارتقت علومها، فسبرت كثيراً من حقائق الكون والحياة والنفس، ورأت واكتشفت ما لم يوجد لدى الأولين فانطبق عليها قول الحق سبحانه: ﴿سَأُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣) ليجمع لنا النظر في الأنفس والآفاق ما يُعْظَمُ شأن خالقها ومبدعها سبحانه.

### وفي هذه الآية - على وجه الخصوص - دالتان واضحتان:

**أولاهما:** أن العلم الطبيعي دليل على الله، وكلما زاد العلم عند الإنسان كلما توثقت العلاقة بينه وبين الله **جَلَّ جَلَالُهُ**، قال لويس باستور الطبيب الكيميائي الفرنسي الشهير: "الإيمان لا يمنع أي ارتقاء كان، لأن كل تَرْقُّ يبين ويسجل الاتساق البادي في مخلوقات الله، ولو كنت علمت أكثر مما أعلم اليوم؛ لكان إيماني بالله أشد وأعمق مما هو عليه الآن" (١).

(١) كما في [الطب محراب للإيمان] للطبيب خالص جلبي كنجو (١/ ٢٥٦ - ٢٥٧) ط/ مؤسسة الرسالة ببلناب.

**الثانية:** أن الله أنجز وعده بإراءة البشر آياته الكونية والبشرية الدالة على خلقه وربوبيته لها، واستحقاقه للعبادة وحده، ليتبين لهم أن ما جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ربه هو الحق لا ريب فيه، قال الدكتور محمد حسين الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: " كلما تقدم العلم خطوة كان الدين عندها، وكلما كشف العلم عن سر من أسرار الكون؛ كلما برزت حقيقة الألوهية المبدعة جلية واضحة، وازداد العقلاء المتدينون إيماناً فوق إيمانهم، بل وكثيراً ما رجع المفتونون بالعلم والمادة عن فتونهم، فأمنوا بأن للكون مبدعاً يجب أن تتعلق به القلوب، وتذل له الجباه " (١).

أليس الكون بما فيه من آيات وبراهين وقوانين هو الكوَّة التي نُطِلُّ من خلالها على معجزات الخالق وقدرته ثم الدينونة بألوهيته وعبادته؟

**إن عقول البشر اليوم تجاه هذه الآيات وأمثالها وما تقرره:**

١- إما عقول مفتوحة، تبحث وتعلل وتقارن وتستنتج، فيزيدها ما تقرره إيماناً وتعريفاً بالإله الحق الذي لا إله غيره زيادة على إيمانها الفطري ومعرفتها الفطرية، فتشهد بذلك " وجود الله، وجلال الله، وتدبير الله، وسلطان الله، وحكمة الله، وعلم الله " (٢) لتدين له بالعبادة وحده.

٢- وإما عقول مغلقة قد عطلت أجهزة استقبالها بالإلحاد الذي لا يرضى صاحبه عن الله أصلاً، وقد تهيأ له من العلوم ووسائلها ما لم يتهيأ لغيره، ورأى واكتشف

(١) [مجلة البحوث الإسلامية] ٦٣ / ٨.

(٢) كما في [في ظلال القرآن] لسيد قطب (٣ / ١٨٢٢) - ط / دار الشروق بمصر.

وانظر للاستزادة [القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين - فصل: سلطان العقل والآيات الكونية في القرآن (ص ٢٧٥ وما بعدها) لمحمد الصادق عرجون ط / دار القلم بسوريا].

ما حوله من مدهشات العقول ودلائل المنطق ولكن لم تؤثر فيه، بل ازداد بها بُعداً وانحرافاً، فالأمر أمر عقول تَعْقِل لا أمر علوم تُعَلِّم، وصدق الله الخالق الحكيم في قوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل: ١٤)

كل هذا يوضح بجلاء أن قضية وجود الله لا يُجادلُ فيها أصلاً، ولا يوجد في عقل عاقل ما يستحق الجدل حولها، وأن خلاف الناس في الله هو خلاف إيمان وكفر، لا خلاف وجود وعدم.

وقد اهتدى بالقرآن من الكفار والملاحدة خلق لا يحصيهم إلا الله ولا زالوا، وفيه إجابات على كثير من أسئلتهم، والرد على شبهاتهم، كما قال أحد الملحدين العرب بعد ما تاب من الإلحاد: " وجدت في القرآن الإجابة على جميع تساؤلاتي ". سبحان الله ! أوليس الله الحكيم العليم قال عن قرآنه: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف: ١١١) ففيه تفصيل كل شيء أساسي يحتاجه الإنسان لدينه وأخراه.

وللبروفيسور الفيلسوف جيفري لانج أستاذ الرياضيات في جامعة كنساس الأمريكية كلام مؤثر عن هداية القرآن له - وقد كان ملحداً -، ذكره بعد إسلامه في كتابه (ضياح ديني - صرخة المسلمين في الغرب) (١) تحت عنوان: (هل أنت تَتَحَدَّثُ إِلَيَّ؟) بعد نقله الآية القرآنية التي افتتح الله عَزَّجَلَّ بها سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢) قال على إثرها: " أحسست برعشة

(١) [(ص ٣٧) ترجمة إبراهيم يحيى الشهابي - ط / دار الفكر بسوريا].

تنتابني عندما قرأت هذه الآية، أخذت أفكر في نفسي: هل أنت تخاطبني؟! ... تَوَلَّدَ لديَّ شعور غريب بأن القرآن كان يخاطبني فعلاً!!".

وتابع (١) واصفاً كيف رَتَّبَ اللهُ آيات القرآن وأنه تعالى: "يعلم أنها ستُثيرُ أسئلة وردود فعل معينة لدى القارئ، ومن ثمَّ يجيب على ردود فعله المتوقعة سلفاً في مقاطع تالية. إن مقدرة القرآن هذه في إشغال القارئ بحديث ذهني وروحي - أو كما قال فريدريك دِنِّي Fredrick Denny: "قدرته على قراءة القارئ" - تمنحه طاقة نفسية هائلة".

وما ذكره عن نفسه يشعر به الكثير مِمَّنْ يَعُدُّونَ أنفسهم أعداءً للقرآن، ويأبون سماعه أشد الإباء، وما إن يسمحو لقلوبهم بسماع آياته إلا ويشعر الواحد منهم أن القرآن يخاطبه الآن دون غيره من الناس كما حصل لجبير بن مطعم النوفلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أيام كان كافراً حيث قال: سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ ﴿٣٧﴾ (الطور: ٣٥-٣٧) قال جبیر: كاد قلبي أن يطير. رواه البخاري (٤٥٧٣)، وفي رواية له (٣٧٩٨) قال: سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يقرأ في المغرب بالطور»، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي.

وكذا النصارى لَمَّا سمعوا القرآن تأثروا وخشعوا، وجعلت أعينهم تفيض من الدمع لَمَّا عرفوا أن ما جاء به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الحق فآمنوا، قال الله

(١) [(ص ٣٨)].



الخالق الحكيم عنهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا فَكُتِّبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة: ٨٣)، وهذه الحقيقة لا زلنا نراها في كثير من النصارى وغيرهم قسيسين ورهباناً وأساتذة جامعات وعلماء ومفكرين ومخترعين وغيرهم حول العالم إذا سمعوا القرآن خشعوا وبكوا، وأعلنوا إسلامهم، وما إن ينطقوا بالشهادة إلا ويشعروا بأنهم وُلِدُوا من جديد. وفوراً؛ ينطلقون دعاة للإسلام مفاخرين به الأديان كلها.

بل ها هم الجن لما سمعوا القرآن سماع إنصات رجعوا إلى قومهم دعاة إلى الإيمان، قال الله الخالق الحكيم عزَّ وجلَّ عنهم: ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ (الجن: ١-٢)، وقال في سياق سورة (الأحقاف: ٢٩-٣١): ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۖ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۚ يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۖ﴾ لقد كانت جلسة استماع واحدة، ولكنها كانت كفيلة بإخراجهم من الظلمات إلى النور، وتغيير ماضيهم كله.

إنه القرآن وليس غيره، ولا شيء مثله يهز القلوب، وتخضع لعظمته النفوس، ويشير المشاعر والوجدان، ويحدث من التحول والتغير فيها ما لا يكون لغيره. أفيوجد أصلب وأجمد من الجبال الصُّمِّ الصَّلاب التي إذا سمعت القرآن اتعظت وخشعت وتصدعت من خشية الله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر: ٢١)!

أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ضَيْقِ الظُّلْمَاءِ إِلَى النُّورِ  
أَنْ تُوَلِّدَ ثَانِيَةً وَالْمَاضِي مَغْفُورٌ  
لَحِظَةَ أَنْ تَشْعُرَ بِاللَّهِ  
فِي قَلْبِكَ يَقْضِيهِ بِهُدَاهِ  
هَذَا مَا لَا يَدْرِكُهُ وَصْفٌ وَشُعُورٌ

يَا اللَّهُ... يَا اللَّهُ

إِنِّي نَادَيْتُكَ وَسَعَيْتُ  
إِنِّي اسْتَهْدَيْتُكَ فَهَدَيْتَ  
بِالْقُرْآنِ أَنْزَلْتَ طَرِيقِي  
كُنْتُ أَسِيرَ الْحَيْرَةِ أَحْمِلُ قَلْبًا تَاهَ  
كَانَ الصَّمْتُ مُخِيفًا قَبْلَ كَلَامِ اللَّهِ  
فَإِذَا بِالرَّحْمَنِ قَرِيبٌ  
يَسْأَلُهُ الْحَائِرُ فَيُجِيبُ  
أَشْهَدُ أَلَّا رَبًّا وَلَا مَعْبُودًا سِوَاهُ  
بِالْقُرْآنِ أَنْزَلْتَ طَرِيقِي

يَا اللَّهُ... يَا اللَّهُ

وذا ربُّنا الخالق الحكيم **جَلَّ جَلَالُهُ** يقول عن قرآنه مخاطباً الناس كلهم مؤمنهم  
وملحدهم: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُرُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ  
وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ (يونس: ٥٧) فالقرآن شفاء لما في صدور الناس كلهم من  
أمراض وعلل، وشبهات وشكوك، وإشكالات وظنون، على اختلاف آرائهم، وتنوع  
ثقافتهم، وتباين مناهجهم، والملحد من جملة الناس، ويستحق أن يعرف الحقيقة

ويسمعها، ولا ينبغي - لنا كمؤمنين - أن نتركه وكل هذا في صدره بدون شفاء، والشفاء بين أيدينا ويديه، ولا علينا من رفضه تناول الشفاء، فالطبيب لا يبالي برفض المريض الدواء، ولا صراخه في وجهه، بل يصبر على ذلك كله لعلمه بجهل المريض وسوء حالته النفسية، ويمضي في عمله بنشاط وأمانة، قال الإمام ابن قيم الجوزية **رَحِمَهُ اللهُ**: " وإذا تأملت القرآن وتدبرته وأعرتة فكراً وافية؛ اطلعت فيه من أسرار المناظرات، وتقرير الحجج الصحيحة، وإبطال الشبه الفاسدة، وذكر النقض والفرق، والمعارضة والمنع على ما يشفي ويكفي لمن بصره الله، وأنعم عليه بفهم كتابه " (١)، وهذا هو عمل المنطق ونتيجته.

وقد جاءت حجج القرآن لتقرر ما يجب من الاعتقادات والأقوال والأعمال، وتبين ما يُنهى عنه من الاعتقادات والأقوال والأعمال، أمره العقل بأن يقوم بعمله المطلوب، وهو البحث عن الحقيقة عن طريق النظر السليم والتمييز الصحيح أيضاً كان مصدرها ودليلها الذي استندت إليه، واشترط منطقية حجتها، مع وضوح مصطلحاتها. هذا هو المنطق، فرفض حقائق القرآن وحججه اللائحة، وبراهينه الواضحة، ومنع الاستدلال بها باسم المنطق كذب على المنطق الصحيح الذي تواطأ عليه البشر، بل هذا منطق مزيف دخيل لا علاقة له بتمييز الخطأ من الصواب.

ولا يستقيم أن يجعل الله الخالق الحكيم القرآن العظيم والعقل السليم في صدام دائم لا يلتقيان، وبينهما تعادٍ وخصومةٌ فلا يتفقان (العقل مقابل القرآن أو المادة ضد الإيمان)، هذا محال، وأسطورة يُروّجها أعداء الإيمان، وما هو إلا دعايةٌ مُشوّهةٌ

(١) [بدائع الفوائد] ٤ / ١٣٠ - ط / دار الكتاب العربي - لبنان.

مُنْحَازَةً أَكْثَرَ مِنْهَا مَوْضُوعِيَّةً، فَاللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ لِلْهُدَايَةِ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْعَقْلَ وَجَعَلَهُ آلَةً لِلْإِدْرَاكِ وَالتَّمْيِيزِ، فَكَيْفَ يَجْعَلُ أَحَدَهُمَا ضِدًّا لِلْآخَرِ، وَيُرِيدُ مِنَ الْآخَرِ مَخَالَفَتَهُ وَمُنَاقَضَتَهُ؟! قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: " صَرِيحُ الْمَعْقُولِ لَا يَنَاقِضُ صَحِيحَ الْمَنْقُولِ، وَإِنَّمَا يَقَعُ التَّنَاقُضُ بَيْنَ مَا يَدْخُلُ فِي السَّمْعِ وَليْسَ مِنْهُ، وَمَا يَدْخُلُ فِي الْعَقْلِ وَليْسَ مِنْهُ " (١).

وَنَقَلْتُ الْمُسْتَشْرَقَةَ الْأَلْمَانِيَّةَ زِيغْرِيدَ هُونَكَةَ فِي كِتَابِهَا (العقيدة والمعرفة) (٢) عَنْ عَالَمِ الْفِيْزِيَاءِ الذَّرِيَّةِ الْإِنْجِلِيزِيِّ أَرْنِسْتِ رُوْتِرِ فُورْدِ الْمَلْقَبِ بِأَبِي الْفِيْزِيَاءِ النَّوَوِيَّةِ وَالْحَائِزِ عَلَى جَائِزَةِ نُوبَلِ قَوْلِهِ: " وَأَيْضًا الْعَالَمُ النَّزِيهِ الَّذِي كَشَفَ بَعْضًا مِنْ جَوَانِبِ الْوُجُودِ؛ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَرْتَابًا فِي اللَّهِ. إِنَّهُ لَتَفْسِيرٌ خَاطِئٌ فِي الْأَوْسَاطِ الْمَتَخَصِّصَةِ أَنْ الْعَالَمَ الَّذِي يَعْرِفُ عَنِ الْوُجُودِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ يَتَوَجَّبُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ بِلَا رَبِّ!! الْعَكْسُ هُوَ الصَّحِيحُ تَمَامًا، إِنْ عَمَلْنَا يَدِي اللَّهِ مَنَا، إِنَّهُ يَصْعَدُ مِنْ إِجْلَالِنَا فَقَطْ ".

وَفِي تَنْزِيلِ الْحَكِيمِ الْحَمِيدِ آيَاتٍ كَثِيرَةٌ تَتَحَدَّثُ عَنِ تَسْخِيرِ الْكُونَ كُلِّهِ بِعَالَمِيهِ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ لِأَجْلِ بَنِي آدَمَ، كَقَوْلِ الْخَالِقِ الْحَكِيمِ: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ (لقمان: ٢٠) وَفِي ضَمَنِ هَذَا التَّسْخِيرِ مَعْرِفَةُ أَسْرَارِ وَقَوَانِينِ الْكُونَ، كَمَا أَنَّ مَا يَكْتَشِفُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ عُلُومِ

(١) مِنْ كِتَابِهِ [دِرْعُ تَعَارُضِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ] ٢/ ٣٦٤ - ت. د. مُحَمَّدُ رِشَادُ سَالِمٍ - ط/ جَامِعَةُ

مُحَمَّدِ بْنِ سَعُودِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالسُّعُودِيَّةِ].

(٢) [(ص ٢٤٣) - تَرْجُمَةُ: عَمْرُ لَطْفِي الْعَالَمِ - ط/ دَارُ قُتَيْبَةِ بَلْبَانَ].

ومعارف ويخترعه داخل في مفهوم النعم المسبوغة عليه من الله ذي الجلال والإكرام، وإن الربط بين حاجات الإنسان وتركيب الكون في هذه الآية لعجب يدعوننا إلى تسبيح الله والدينونة له **جَلَّ جَلَالُهُ**. ومع كل هذا ووضوحه؛ يأبى الملاحظة - وقد سَدُّوا منافذ الوعي والفهم عنهم - إلا المجادلة في الله ودلائل وجوده الدالة على ربوبيته للكون كله واستحقاقه للعبادة والتأليه، ورفض التناسب والاتفاق بين العلم والإيمان، وإياهم أراد الله الخالق الحكيم بعد قوله السابق فقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢٢﴾﴾ (لقمان: ٢٠-٢١)، فاتفاق كل من العلم والدين أمر ضروري ولا بُدَّ، لأن مصدرهما واحد، وهو الله ذو الخلق والأمر، ولا تعارض بينهما إلا في مُخَيَّلَةٍ هُوَلاء وظنوناتهم التي لا خطام لها ولا زمام، بل العلم محراب من محارِبِ الإيمان، وكم سادت الحقل العلمي دراسات ونظريات قيل إنها حقائق علمية ثابتة وقطعية تخالف الدين؟! ثم تَبَيَّنَ بعد تطور العلم أنها أقلُّ درجة من أن تكون حقائق، بل أكاذيب نُسِبَتْ إلى العلم زوراً، وما نظرية التطور عنا ببعيد!!! وصدق الله وكذب داروين.

وحينئذ؛ فالملاحظة مطالبون في ضوء قواعد المنطق الصحيح دحض منطقيات القرآن وعقلياته وعلميَّاته، فإن لم يقدرُوا - ولن يقدرُوا -؛ فلا يحق لهم إنكارها ابتداءً جملة وتفصيلاً، لأن إنكارها هدم لحجتهم، ولا جدوى لها بعدئذ، قال د. رافي

زكرياس: " لا جدوى من إنكار قوانين المنطق، ومَنْ ينكرها يهدم حجته، لأن المرء لا بُدَّ أن يستخدم المنطق إما لدعم الحجة أو لدحضها " (١).

وَمَنْ رَدَّ مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ آيَاتُ الْقُرْآنِ مِنَ الْعَقْلِيَّاتِ فَقَدْ بَاءَ بِخُسَارَةِ الْجَمِيعِ، وَعِدَاوَةِ الْجَمِيعِ: الشَّرْعَ وَالْعَقْلَ، وَحِينَئِذٍ " لَمْ يَبْقَ مَعَهُ لَا عَقْلٌ وَلَا شَرْعٌ " (٢) وَيَحْكُمُ عَلَى نَفْسِهِ بِخُسْرَانِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عِيَاذًا بِاللَّهِ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

وإنما مَنَعَ الملاحظة ذلك عملاً بـ (مغالطة المنشأ) (٣)، وخوفاً من صوادع الحق القرآنية الواضحة التي تُحَلِّلُ نَفْسِيَّاتِهِمْ، وتقرأ دواخلهم، وتكشف شبههم، وتبين زيف قيلهم وقالهم، وقد قال عَلَامُ الْغُيُوبِ عَزَّجَلَّ مُهَدِّدًا: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ (البقرة: ٢٣٥) وقال: ﴿قُلِ اسْتَهِزُّوا بِإِتِّ اللَّهِ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ٦٤).

ولذا؛ كان من رحمة الله بعباده أنه لم يترك دعوتهم إلى الهدى والإيمان عبر كتابه الذي هو الذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وإن كانوا مسرفين على أنفسهم بالكفر والإلحاد، معرضين بالجحود والعناد فقال الخالق الحكيم: ﴿أَفَنْضِرُ بِعَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ (الزخرف: ٥)، والمعنى:

(١) [(الوجه الحقيقي للإلحاد) ص ١٨١ - مصدر سابق].

(٢) [(درء تعارض العقل والنقل) ٥ / ٢٨٢ - مصدر سابق].

(٣) بناءً على أن المتكلم به هو الله، وهم لا يقبلون عن الله أي شيء، وهذا مسلك سَفْسَطَةٍ مكشوف مردود، لأنه رفض للحجة بدون حجة، فالحجة دائماً مقبولة بغض النظر عن قائلها ومنشئها، فكيف والقرآن كلام الله رب العالمين؟

أنترك تذكيركم بسبب كونكم مسرفين، ونعرض عنكم لأجل إعراضكم وعدم انقيادكم؟! كلا؛ بل نُنَزِّلُ عليكم الكتاب ونوضح لكم فيه كل شيء، فإن آمنتم فقد اهتديتم، وإلا قامت عليكم الحجة، وكنتم على بينة من أمركم، ولا حجة لكم علينا.

فلا يصح أن نقبل رفض الملاحظة الاستدلالية بآيات القرآن، بل يُذَكَّرُونَ بما ذُكِرَ فيها من الحجج العقلية والبرهانية، والظواهر الطبيعية والحسية التي جاءت لتحرك عقل الإنسان، وتستثير فكره وهو يرى الوجود أمامه، ويحس بما حوله، وينظر في نفسه، وَلَيُنَبِّهُوا عَلَى ما تدل عليه من الهدى والإيمان، والمُحَاوِرُ أو المُنَاطِرُ الفِطْنُ يعرف كيف ومتى وفي أيِّ موضع يستدل بالقرآن؟

ثم؛ أليس القرآن كتاب علم ومعرفة؟ أليس قادراً على أن يقدم إجابات شافية لكل ما يحتاجه الإنسان؟ إذن؛ فليكن التحاور والتناظر مشروطاً من البداية على أن يكون مفتوحاً على مصادر المعرفة كلها بدون استثناء، وإلا فالخوف من حُجَجِ القرآن هو سبب امتناع الملاحظة من الاستدلال بآياته أثناء الحِجَاجِ، وإلا ماذا نسمي الانفتاح على جميع المصادر المعرفية، والانغلاق على القرآن وحده؟ حينها تتعري دعوى الموضوعية على حقيقتها، ويتكشف منهجهم الذي يسمونه نقداً علمياً عن سراب خادع.

وليكونوا ما شاءوا؛ وليقولوا ما يريدون، فكالعادة؛ يخرج القرآن منتصراً على منتقديه دائماً.

ولا بُدَّ من التذكير بأن بالاستدلال بالقرآن يتحقق ما ذكره الله في كتابه وهو يحاجج الملحدين والمشركين والكفار يوم القيامة بأن رسله وأتباعهم تَلَّوْا عليهم

آياته وأقروا بسماعهم لها، قال الله الخالق الحكيم: ﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَعَازَّتَهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ (الأنعام: ١٣٠)، وقال عزَّ أمره: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمُحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٣١﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٣٢﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٣٦﴾ (طه: ١٢٤-١٢٦) وقال الحق **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ (الزمر: ٧١) لقد تمَّ إسماعهم آيات الله في الدنيا، وهامهم يعترفون بذلك وفي أنفسهم من الحسرة والندامة ما لا يوصف .

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٰ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي ۚ إِنَّ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۚ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ (يونس: ١٥) وهنا نلاحظ كيف رفض المخالفون مصدرية القرآن، وطالبوا بتغييره أو تبديله، فهل أجبوا لمطلبهم هذا؟ لا، لم يجابوا إلى هذا، بل استمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتلو عليهم آيات القرآن ممتثلاً أمر ربه القائل له: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ (الفرقان: ٥٢) أي بالقرآن، لأن به البلاغ المبين، والحجة القائمة، والدليل المقنع، وأوجب عليه إسماعهم إياه شاءوا أم أبوا؟ وهل



هذا إلا ما نزل القرآن له وبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأجله؟ قال الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى:  
 ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ  
 وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١﴾﴾ (الجمعة: ٢).

ويحسن أن نضيف هنا قائلين: "إن الاستدلال القرآني بما يحويه في طياته من مخاطبة البشر على اختلاف توجهاتهم وأفكارهم لجدير بأن يكون في صدارة المناهج على مستوى الإنسانية جمعاء في مجال الدراسات العقديّة والعقليّة والنفسية والاجتماعية، ومناهج البحث والنظر والرد والاستدلال:

أ- فإنه يعتمد على الوحي، وهذا للمؤمن.

ب- وكذلك يعتمد على العقل، وهو القاسم المشترك بين الإنسانية جمعاء.

ج- ويعتمد على الوجدان والقلب والعاطفة، وهذا لمن اقتنع عقله وفكره ولكنه يحتاج إلى هدوء نفسي، وسكينة روحية، واطمئنان قلبي.

د- ويعتمد على الحس المشاهد، وهذا ملزم لمن هو ملازم للعناد، فلا يستطيع مع الاستدلال المادي المحسوس إلا الإذعان" (١).

وعلى الملحد حيال آيات القرآن قبول دلالاتها العقلية، لأن أصل مذهبه - كما يقول - قائم على الاحتجاج بالعقل، وكل ما وافق العقل يجب قبوله، وإلا فما أسهل التناقض! ويا لقبحه من العاجز!

فإما أن يقف الملحد أمام هذه الشواهد والأدلة الحسية والعقلية والفطرية - فضلاً عن الدينية - ويرجع عن قوله؛ وإما أن يخالف ذلك كله، ويشد عن إجماع

(١) [الاستدلال القرآني ضروري لدارسي المنطق] ص (٥٩٧ - ٥٩٨) مصدر سابق.]

الكون من فرشه إلى عرشه المقر بوجود الله ووحدانيته، وذلك بأثار ما خلق وأحكم وأتقن في العالم، وهنا يأتي قول الله الخالق الحكيم عزَّ أمره: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَبِجَعْلِ الرِّجْسِ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١١٠﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١١٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾﴾ (يونس: ١٠٠-١٠٣).

فإن قال: حسناً، لكن ما زال في قلبي شك، وأجد في نفسي سؤالاً يدفعني لأن أقول: هذا خلق الله، فمن خلق الله؟

قلنا: لا يصح هذا السؤال عقلاً، لأنه جمع بين الشيء ونقيضه، بين الحادث والمُحدث، وجعل الخالق مخلوقاً!! فالعقل السليم لا يقبل هذا السؤال: خلق الله الخلق فمن خلق الله؟! من خلق الخالق المخلوق؟! لأنه لا يعقل خالق ومخلوق في آنٍ واحدٍ!!! فكما أن السيارة ليست هي المهندس الذي صنعها؛ فكذلك الخلق ليسوا كخالقهم، وليس هو مثلهم، وكما لا يعقل أن توجد سيارة بدون مهندس، فكذلك لا بد للخلق من خالق واحد ينتهي إليه الأمر والخلق، عليم حكيم، قدير رحيم، له الكمال المطلق من جميع الوجوه، يختلف عن خلقه ولا يُماثلهم، وهذا أمر معلوم ضرورةً وفطرةً.

ومن جَوَّزَ أن يكون الله الخالق مخلوقاً في آنٍ واحدٍ؛ فلم لا يُجَوَّزُ أن يكون المهندس سيارة؟! نعوذ بالله من زوال العقل، والدخول في زمرة المجانين.

فَمِنْ الْجَنُونَ طَرَحَ هَذَا السُّؤَالَ (مَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟)، لِأَنَّهُ لَا مَعْنَى يُتَحَصَّلُ مِنْ وِرَائِهِ.  
وَإِصْرَارُ أَيِّ مَلْحَدٍ عَلَى طَرَحِ هَذَا السُّؤَالَ لِلْجَوَابِ عَنْهُ يَعْنِي نَسْفَ قَانُونِ نَفْسِي  
الْجَمْعِ بَيْنَ الْمْتَنَاقِضَاتِ، وَهُوَ أَمْرٌ مُسْتَحِيلٌ وَمَمْتَنَعٌ.

وَإِذَا كَانَ السُّؤَالَ لَا مَعْنَى لَهُ؛ فَمِنْ الطَّبِيعِيِّ أَنْ لَا يَجِدَ جَوَابًا عَلَيْهِ، لِأَنَّ الْجَوَابَ  
عَنْهُ يَعْنِي الدَّخُولَ فِي فَرْضِيَّةِ اللَّاتِنَاهِي، وَهِيَ مِنْ مَحَالِّاتِ الْعُقُولِ، وَهِيَ: لِنَفْتَرِضَ  
أَنَّنا أَجَبْنَا عَلَى سُّؤَالٍ: مَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ بِالْقَوْلِ: إِنَّهُ خَالِقٌ آخَرَ! فَسِيرِدُ حَالًا نَفْسَ السُّؤَالِ:  
مَنْ خَلَقَ هَذَا الْخَالِقَ الْآخَرَ؟

**والجواب:** خالق آخر! وهكذا في تسلسل لا ينتهي من الخالقين المخلوقين في  
نفس الوقت!!! كيف يكون خالقًا ومخلوقًا في نفس الوقت؟! كيف يكون موجودًا  
لغيره وغيره موجودًا له في نفس الوقت؟ فلا بُدَّ من خالق غير مخلوق.

أَرَادَ أَحَدُهُمْ أَنْ يَمْزِحَ عِنْدَمَا رَأَى أَصْنَافًا مِنَ الطَّعَامِ الشَّهِي وَاللَّذِيذِ بَيْنَ يَدَيْهِ؛  
فَقَالَ: مَا أَلَدُّ هَذَا! مَنْ طَبَخَ هَذَا الطَّعَامَ؟ فَقَالُوا لَهُ: فَلَانَ الطَّبَاحِ. فَسَأَلَ مُسْتَعْظَرًا: مَنْ  
طَبَخَ الطَّبَاحَ؟!

لَمَّا عَرَضْتُ هَذَا السُّؤَالَ عَلَى وَكَدِّيَّ: مُحَمَّدٍ (١٨ سَنَةً) وَالْمَقْدَادِ (١٣ سَنَةً) كَلَّامًا  
عَلَى حِدَةٍ لِأَكْتَشِفَ رَدَّةَ فَعْلُهُمَا، لَمْ يَسْتَوْعِبَاهُ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ!! فَلَمَّا كَرَّرْتُ عَلَيْهِمَا  
السُّؤَالَ؛ ضَحِكُ الْأكْبَرِ مِنْهُمَا مَتَعَجِبًا مُسْتَنَكِرًا!! وَقَالَ: أَيُّ سُّؤَالٍ هَذَا؟!!

وقال الآخر: هذا سؤال مخبوط!!!

وأقول: لو جَرَّبَ الْقَرَاءَ عَرَضَ هَذَا السُّؤَالَ عَلَى ذَوِيهِمْ وَأَصْدِقَائِهِمْ لَتَعَجَبُوا مِنْ  
الإِجَابَاتِ، وَلَا نَفَجَرُوا ضَحْكًا وَسُخْرِيَّةَ مِنْهُ، وَلَخَرَجُوا بِتَتِيحَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ: هَذَا

سؤال غير منطقي، لا يستحق الجواب، ولا يمكن أن يتخيله العقل، إذ كيف يكون الطباخ مطبوخاً في نفس الوقت؟

ومثله تماماً: مَنْ خَلَقَ الْخَالِقَ؟!

كيف يكون الخالق مخلوقاً في نفس الوقت؟!

هذا محال، هل البرهان يحتاج إلى برهان؟! إن قلنا: لا؛ فلأن هذا هو منتهاه، إذ كيف يكون برهاناً على الأشياء ثم هو يجب أن يتبرهن بالبرهان نفسه؟! وإن قلنا: نعم؛ فـ " ليس للبرهان برهان، لأن هذا يكون بلا نهاية، إن كان لكل برهان برهان؛ فلا يكون لشيء وجود ألبتة، لأن ما لا يُنتهى إلى علم أوائله فليس بمعلوم؛ فلا يكون علماً ألبتة " (١)، وهو مبدأ عند الفلاسفة يسمونه: مبدأ التسلسل في العلل، وهو محال عندهم وعند كل إنسان سليم العقل.

وما أحسن عبارة الإمام أبي المعالي الجويني رَحِمَهُ اللهُ: " ما يتسلسل لا يتحصل " (٢)، وهي عبارة رشيقة بليغة.

والمحصلة النهائية من هذا السؤال وجوابه ارتكاب محالين عقليين:

الأول: نفي الخالق.

(١) كما قال فيلسوف العرب الكندي في [كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى] ص ٨٩ - تحقيق: د. أحمد فؤاد الأهواني - ط/ دار إحياء الكتب العربية وعيسى البايي الحلبي وشركاه بمصر].

(٢) كما في [العقيدة النظامية للجويني (ص ١٣٥) ت/ د. محمد الزبيدي - ط دار النفائس

والثاني: القول بتسلسل علل لا نهاية لها (١).

وإذا أباح الملحد لنفسه أن يسأل هذا السؤال! فَلنُسأله: أنت مخلوق؟ فليَمَ لا تكون خالقاً لنفسك؟! هل يمكن أن تكون مخلوقاً خالقاً لنفسك؟! سيقول: هذا سؤال خطأ، لأني جئت إلى الوجود ولم أوجد نفسي، وانتقلت من العدم إلى الوجود بدون سبب، وهذا باطل؛ لأن فيه نسفاً لقانون السببية، ولن يقول: أنا خلقت نفسي بنفسي!! فإن قال ذلك؛ فقد صادر عقله، ودخل في عداد المجانين، بل الأضلين جنوناً.

وأى حجة عقلية يريدها الملاحدة بعد قول الله الخالق الحكيم وقد وضعهم في قسمة ثنائية حاصرة لا ثالث لها إلا هو سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (الطور: ٢٥-٢٦)؟، فهل خُلِقتم يا هؤلاء من غير خالق؟ لأنه يستحيل أن توصفوا بالخلق من غير خالق، فهذا ممتنع! كما يستحيل أن توصفوا بالخالق لأن كل واحد فيكم يفتقر إلى غيره، ويتصف بالوجود ويلحقه العدم، فكيف يكون خالقاً؟ هذا تناقض غير مقبول، وهو أشد امتناعاً من الأول!! وهذا يجعلنا نفهم لم صيغت الآية باستفهام إنكاري؟ ليتقرر من الآية البديهية التي يؤمن بها الناس كلهم، ويقف أمامها كل ملحد عاجزاً لا جواب له إلا أن يرددها مع المؤمنين: "إذا لم يكونوا خُلِقُوا من غير خالق ولا هم الخالقون لأنفسهم؛ تعين أن لهم خالقاً خلقهم" (٢).

(١) [المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام] ٢ / ١٦٦.

(٢) كما في [لوامع الأنوار البهية] ١ / ١١٨ للسفاريني - ط / مؤسسة الخافقين ومكبتها بسوريا.

إن العقل ليتقبل أن يكون للوجود إله لا أول له، ولا يتقبل أن يكون للوجود تسلسل لا نهاية له، والقول بالتسلسل سيجعل صاحبه يؤمن بالسببية المطلقة، التي معناها أن لكل سبب مسبباً، وكل شيء في الوجود له سبب، حتى ينتهي به التفكير اللاعقلاني إلى أن يُدخَلَ اللهُ في السببية، فيطالب بسبب وجود الله!!! وهكذا سندخل مرة أخرى في دوامة التسلسل! فهذا استنتاج غير معقولٍ معني، ولا مُتَصَوِّرٍ ذهنياً، لأن السبب مخلوق أو جده الخالق، فكيف يفتقر هذا الخالق إلى شيء مخلوق (سبب)؟ إن وجود المخلوق يعني أنه لا بد له من خالق، والخالق لا يقاس بالمخلوق أبداً، والمخلوق لا يمكن أن يفعل ما في الوجود من خلق بديع، ونظام كامل، بالغ التعقيد والإتقان في جميع أجزائه ليكون بذلك خالقاً ومخلوقاً في نفس الوقت! فالقول بذلك قول بمحال، لا يوجد له في الواقع مثال، بل خيال يصيب العقول بالخبال، ويجعل وجودنا فوضى لا زمام لها ولا عقال.

وإذا كان التسلسل محالاً لا وجود له في الواقع، ولا يقبله العلم، فهو مجرد افتراض ذهني (فكرة)، احتيج إليه في باب الجدل، وليس أساساً للتفكير العقلي الصحيح.

وهذا السؤال اللامنطقي (من خلق الله؟) يدخل ضمن ما يعرف بـ (أغلوطة الفئة)، وتتمثل في خلط الفئات بربط الشيء بغير فئته التي هو منها، كالسؤال عن لون الروائح (لون رائحة البنفسج)، أو طعوم الألوان (طعم اللون البُنِّي) (١) فأئِي سَقَطَةَ سَفْسَطَةَ سَقَطَهَا المَلْحَدَ بِسؤاله هذا؟!

(١) كما في [مَنْ خَلَقَ اللهُ؟] د. سامي عامري (ص ١٢٨) - ط / مركز تكوين بالسعودية.

نعم؛ لقد أعلن الملاحدة الماديون رفضهم للأديان، لكنهم - بجعلهم قوانين الطبيعة المادية هي التي أحدثت الكون، وأوجدت الوجود بالصدفة - يدعون إلى وثنية دينية جديدة، آلهتها المادة وقوانينها، تتدثر بالعلم والمنطق، لكنها تنكشف عن جهل بحقيقة الخلق والخالق، فما أحرى أصحاب هذه الديانة أن يقرؤوا قول الله الخالق الحكيم **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرٌ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (النحل: ١٧-٢٢)

إن قول الله الخالق الحكيم: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ يبين سبب إنكار الملاحدة للرب سبحانه وتهربهم من الاعتراف بخالقيته للوجود؟ وهذا ما صرح به البروفيسور البيوكيميائي اليهودي الملحد جورج والد الحائز على جائزة نوبل في الطب، قال ما نصُّه: " عندما يتعلق الأمر بأصل الحياة؛ لا يوجد سوى احتمالين: الخلق أو النشوء التلقائي ! لا يوجد طريق ثالث ! والنشوء التلقائي: تمَّ دحضه قبل مائة سنة، ولكن هذا يقودنا إلى استنتاج واحد آخر فقط وهو: الخلق الخارق للطبيعة ! ولا يمكننا قبول ذلك لأسباب وأسس فلسفية !! ولذلك؛ فإننا اخترنا أن نعتقد المستحيل، وهو أن الحياة نشأت تلقائياً عن طريق الصدفة " (١).

(١) بواسطة [التطور نظرة تاريخية وعلمية ووقفات من ذاكرة نشأة التطور وإلى اليوم]

لاحظوا قوله: " لأسباب وأسس فلسفية " فعلى هذه الكلمة يتكى ملاحظة العالم كلهم وبها يتكاثمون، جهر بها بروفيسورهم هذا وكتمها مُدَّعُو الْعِلْمَوِيَّة، وصدق الله العليم الخبير إذ قال: ﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (البقرة: ٧٢).  
يا للعجب !!! كم من ملاحظة سيصدمون إذا علموا أنه تَمَّ تضليلهم بهاتيك النظريات عشرات السنين؟! فالحمد لله على نعمة العقل والإيمان.

لنسأل أصحاب نظرية الصدفة جرياً على سؤالهم: من خلق الخالق؟ قائلين لهم: من صَدَفَ الصُّدْفَةَ؟ نبئونا بعلم إن كنتم صادقين، وأكد لن يقولوا: صَدَفَ الصُّدْفَةَ صُدْفَةٌ؛ لأن هذا هو الدور بعينه، وهو ممنوع، ولا عاقل قائل به، فلم يَبَقْ إلا استبعاد سؤال: (من صدف الصدفة؟) وسؤال: (من خلق الخالق؟) لعدم عقلانيتهما وواقعتهما.

كيف لملحد يؤمن بالماديات وينكر الغيبيات ويجعل هذا منهجاً ثابتاً يسير عليه في حياته، فإذا سئل كيف وُجِدَ هذا الكون؟ قال: وُجِدَ صدفة !!  
حسناً؛ ما الصدفة إذاً؟ أمهي قانون؟ فَمَنْ قَنَّه؟

أم هي حركة عشوائية ظلت تتحرك في كل اتجاه حتى تَكُونُ الكونُ؟

فمن حركها كل هذه الحركة؟ من المحرك الأول؟

أليست بهذا الوصف غيباً من الغيوب؟ والغيب لا يرى، فلا وجود له كما تزعمون !

لا يوجد ملحد على ظهر الأرض يستطيع أن يأتي بدليل واحد وفق القانون

الرياضي أو المنطقي يثبت به نظرية وجود الكون صدفة !



والعجب لا ينقضي من أناسٍ معدودين في العلماء لا يدعون أن آلة التصوير - التي هي في الواقع تقليد ميكانيكي لعين الإنسان - جاءت من نفسها دونما اختراع إنساني، ولكنهم في نفس الوقت يعتقدون أن العين جاءت عن صدفة ومحض اتفاق!!!<sup>(١)</sup>.

وبهذا تسقط قاعدة من قواعد الإلحاد العلمي المعاصر التي عبّر أربابه عنها بقولهم: إنكار كل الغيبات التي لا يمكن إخضاعها للملاحظة والتجربة.

والحق أننا عندما نحاور ملحداً ونضع أمامه هذه الحجج ونورد عليه الاعتراضات يضطرب ويحتار، إذ تنازعه الفطرة المخبوءة في نفسه إليها، وتجذبه أوهام الإلحاد اللامعقولة بقوة إليها، فتارة مع هذه، وتارة مع تلك، حتى إنه ليكاد يُجنُّ من ضنك ما يشعر، وتقتله الهموم مرات ومرات مما يجد. فاللهُمَّ اهدِ كل ملحد وملحدة صراطك المستقيم.

دعونا ننقل هنا قول عالمٍ متخصصٍ في مجال الطبيعة وهو يدحض فكرة وجود الكون بالصدفة عقلياً، قال عالم الطبيعة الأمريكي جورج إيرل ديفيس: " لو كان يمكن للكون أن يخلق نفسه؛ فإن معنى ذلك أنه يتمتع بأوصاف الخالق، وفي هذه الحال سنضطر أن نؤمن أن الكون هو الإله... وهكذا ننتهي إلى التسليم بوجود (الإله)؛ ولكن إلهاً هذا سوف يكون عجيباً: إلهاً غيبياً ومادياً في آن واحد!! إنني أفضل أن أؤمن بذلك الإله الذي خلق العالم المادي، وهو ليس بجزء من

(١) انظر [الإسلام يتحدى مدخل علمي إلى الإيمان] لوحيد الدين خان (ص ٦٥) ط / مكتب

هذا الكون، بل هو حاكمه ومديره ومدبره، بدلاً من أن أتبنى مثل هذه الخزعبلات" (١).

أليس هذا الكلام منطقياً؟ ويخضع له كل عاقل بالتسليم والقبول؟

وقد طبع مؤخراً كتاب بعنوان: (الله، العلم، والبراهين) لمُفكِّرينِ فرنسيين هما: ميشيل - إيف بولوريه و أوليفيه بوناسيس، يثبتان من خلاله أن العلم يدل على وجود الله، " فمعظم الاكتشافات التي تتالت في القرن العشرين تميل إلى ذلك، نذكر من بينها نظرية النسبية لآينشتاين، وعلم الميكانيكا الحرارية، ونظرية البيغ بانغ أو الانفجار الأعظم الذي أدَّى إلى تشكل الكون، وعلم الفلك الكوني، وعلم الميكانيك الكمي والموجي، أي الفيزياء التي تدرس اللامتناهي الصغر، وعلم الأحياء البيولوجية واكتشاف الجينوم الوراثي للإنسان، والتعبير العلمي للكون عن طريق قوانين دقيقة صارمة لا يحد عنها قيد شعرة ... يقول المؤلفان ما معناه: كل هذه الاكتشافات العلمية تخلص إلى النتيجة التالية: أن للكون بداية محددة تماماً، أي أنه مخلوق في لحظة ما، وإذا كانت له بداية فهذا يعني وجود سبب أو مسبب لهذه البداية، وبالتالي فالخلاصة الأكثر منطقية تدفعنا إلى الاعتقاد بوجود روح ذكية تقف خلف الظواهر، أي وجود عقل علوي أعظم يحرك كل شيء من خلف الستار. مَنْ الذي أعطى النقرة الأولى للانفجار الأعظم وخلق العالم؟ باختصار شديد؛ كل هذا دليل على وجود خالق أعظم للكون" (٢).

(١) بواسطة [الإسلام يتحدى مدخل علمي إلى الإيمان] ص ٩٣ - مصدر سابق].

(٢) انظر مقال [العلم يبرهن على وجود الله للمرة الأولى] لهاشم صالح - جريدة الشرق الأوسط على الشبكة - مع العلم أن الكتاب طبع في شهر أكتوبر ٢٠٢١م].

والآن - بعد كل ما ذكرنا - هل يجتمع في عقل إنسان الإيمان بالصدفة وإنكار وجود الله؟

إننا على يقين بأن الملاحظة يشعرون في لحظات صدقٍ مع النفس، وتحرّر الفكر من وهَمِ العلمية المادية بأن الوجود عظيم الخلق، بديع الصنعة، متناغم الأجزاء، وأنه يسير على سنن قويمه لا تتبدل، قال الدكتور بول ديفيز أستاذ الفيزياء البريطاني في كتابه (الجائزة الكونية الكبرى - لماذا الكون مناسب للحياة؟) (١): "حتى العلماء الملحدون الذين يشكلون جزءاً صغيراً وهشاً من الكون يُدبِّجون قصائد المديح في ضخامته وعظمته وتناغمه وأناقته وعبقريته "

وقال الدكتور سامي عامري: "أمنَ العقل أن ينكر العقل الإله الحكيم؛ ليقدر إله الصدفة أو الصدف؟! وكيف يخرج المعنى من رحم العشوائية؟ وينبت الذكاء في أرض العفوية؟!" (٢).

وجدير بهذا المقام ذكر ملاحظة دقيقة أتت على دعوى الملاحدة القائلين بعشوائية الكون من القواعد، فخرّ عليهم سقف الوهم كاشفاً حقيقة عقولهم المضروبة بالعشوائية نفسها، نبتة عليها أحد الدكاترة الفضلاء، أصوغها في الحوار التالي:

👉 المؤمن: ألسنت أيها الملحده دائماً ما تردد أن الكون عشوائي التكوين؟

👉 الملحده: بلى.

(١) [(ص ٣١) - ترجمة: د. سعد الدين خرفان - ط / وزارة الثقافة السورية].

(٢) من [(مَنْ خَلَقَ اللهُ؟) ص ١٦٦ - مصدر سابق].

👉 المؤمن: ما حجتك على ذلك؟

👉 الملحّد بكل ثقة: عقلي استنتج هذا الحكم.

👉 المؤمن وبدون تردد: على مهلك يا هذا؛ انظر ماذا تقول؟! ألسنت أنت جزءاً

من هذه العشوائية؟

👉 الملحّد في دَهْشٍ وَتَرَدُّدٍ - وكأنا ما ضُربَ على رأسه - : بلى!! بلى!!

👉 المؤمن: إذاً؛ فبأيّ عقلٍ حكمتَ على الكون بالعشوائية وعقلك جزء من

هذه العشوائية نفسها؟ كيف سيحلل عقلك ويستنتج، ويعطي البيانات، ويرتب

المعلومات للوصول إلى الحكم على هذا الكون الواسع الفسيح الموصوف

بالعشوائية عندك؛ وعقلك نفسه مضروب بالعشوائية؟! عقلك عشوائي يا هذا!!!

منطقيًا - وبإجماع العقلاء - يجب وضع مَنْ كان عقله عشوائياً جانباً والحجر

عليه، لأنه لا يمكن - في منطق العقل وقوانين العلم - إثبات عشوائية الكون بعقل

عشوائي!! وإذا أبى الملحّد وصف عقله بالعشوائية حاكمناه بقانون التطور

الإلحادي الذي يجعله فاقداً للثقة، لا قيمة له، قال داروين: " ولكن هنا يراودني

الشك الآتي: هل يمكن أن يكون عقل الإنسان - والذي أؤمن إيماناً جازماً أنه

تطور عن عقلٍ كذلك الذي تمتلكه أدنى الكائنات - محلاً لثقتنا وهو يدلي بتلك

الاستنتاجات العظيمة؟! " (١).

(١) بواسطة [العودة إلى الإيمان] د. هيثم طلعت (ص ٢٠) - ط / دار الكاتب بمصر.

إلى متى سيظل الإلحاد يهدر العقل البشري؟ كيف يرضى الملاحدة على عقولهم بتفسير غير المفهوم بغير المفهوم؟! ومن أضل ممن ينطلق من وهم معدوم طمعاً في عدم موهوم؟!

ولما كان هذا السؤال التشكيكي من وساوس الشيطان لبني آدم؛ فقد أرشدنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي بعثه الله معلماً للناس أجمعين، وأرسله رحمة للعالمين كيف نتعامل مع وسوسة الشيطان هذه لردّها وإبطالها، وذلك بعدة أمور:

(٢، ١) الاستعاذة والانتهاز عن الاسترسال في السؤال، وذلك في قول نبينا الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَتَّبِعْهُ» رواه البخاري (٣٢٧٦) ومسلم (٢١٤).

(٤، ٣) قول: " الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد"، والتفُّل عن اليسار ثلاثاً كما علمنا نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لا ينطق عن الهوى بقوله: «يُوشِكُ النَّاسُ أَنْ يَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ حَتَّى يَقُولَ قَائِلُهُمْ: هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟ فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقُولُوا: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ (الإخلاص: ١-٤)، ثُمَّ لِيَتَفَلَّحْ عَنِ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ» رواه النسائي في السنن الكبرى (١٠٤٢٢) وأبو داود (٤٧٢٢) وحسنه العلامة الألباني (١).

(١) في [السلسلة الصحيحة] برقم ١١٨ - ط / مكتبة المعارف بالسعودية.

(٥) أن يقول: آمنت بالله وبرسله، كما قال نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الموحى إليه من ربه: «لَنْ يَدَعَ الشَّيْطَانُ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَيَقُولُ: اللهُ، فَيَقُولُ: فَمَنْ خَلَقَكَ؟ فَيَقُولُ: اللهُ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ اللهُ؟ فَإِذَا حَسَّ أَحَدُكُمْ بِذَلِكَ فليقل: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرُّسُلِهِ» رواه ابن حبان (١٥٠) وهو صحيح (١).

والطريقة النبوية الشرعية في دفع هذا السؤال الإلحادي أكمل وأنفع، وأقوى وأقطع، وبالله العصمة أجمع.



(١) كما قال العلامة الألباني في [(التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان) ١ / ٢٤٢].

## (الشبهة الثانية)

**قالوا:** إذا كان الله إلهاً يحب الخير والعدل ويتصف بالحكمة والرحمة ومطلق القدرة والإرادة فلا يمكن أن يوجد الشر، لكن الشر موجود، وهو محضُ فساد لا خير فيه، فوجود الله والشر تناقض! بناءً على أن وجود أحدهما يستلزم نفي الآخر، إذاً الله غير موجود!! وعدوا هذه الشبهة أقوى حجج الإلحاد ضد الإيمان، حتى لقد تعلل بها كثير من الملحدين ليعلنوا رفضهم القاطع أن يكونوا مؤمنين مع وجود الشر في الأرض.

### الجواب:

لا جديد في هذه الشبهة، فقد تناولتها بالأخذ والرد مختلف النحل والأديان كلَّ حسب معتقده، ولا يزال شبحها يطل من آنٍ إلى آني، حتى إنها عُدتُّ "مشكلة المشاكل في جميع العصور" (١)، وأصبح لها حضورها الواسع في عالم الأفكار، وتأثيرها الواضح على تبني الإلحاد في كثير من الأقطار، وإنما تفاقم الحديث عنها في عصرنا لسببين:

١- كثرة الشرور.

٢- وكثرة اللجاجة فيها، بحيث كثر الخائضون فيها (٢).

(١) كما قال الأستاذ عباس العقاد في [عقائد المفكرين في القرن العشرين] ص ٦٤ - دار المعارف بمصر].

(٢) [المصدر السابق (ص ٦٥)].

ولكن؛ ما علاقة الشر بوجود الله **عَزَّوَجَلَّ**؟ **أَلَا تَهُ** يحب الخير ويأمر بالعدل فعصى الناس أمره ووقعوا في الشر ومارسوه بشتى صورته إذاً هو غير موجود؟ يا له من تفكير عجيب!!!

ولو أن أباً أمر أبناءه بتنفيذ **عَمَلٍ** ما **فَعَصَوْا** أمره، وفعّلوا عكس ما قال؛ فهل يقال: إذا الأب غير موجود؟! ولا يستحق أن يكون أباً، لأنهم فعلوا عكس ما قال!! فلا أبوة أصلاً!!!

وإذا كان وجود الشر يعني أن لا إله!! فوجود الخير في الأرض - وهو أكثر من الشر - ما معناه؟ **وَمَنْ** أوجده؟ وكذلك الشر؛ **مَنْ** أوجده؟! ليس قولهم بوجود الشر يعني بالضرورة وجود الخير؟! يتعين على الملاحظة الإجابة على هذه الإشكالات أولاً.

وهنا نلاحظ أن الملاحظة لا يشعرون أنهم مؤمنون بالله عندما **يُكْوِخُونَ** بمعضلة الشر أمام المؤمنين! فإدراكهم بقيمة الخير والشر تعني منطقياً وجود قانون **تَمَّ** الرجوع إليه لمعرفة قيمتهما، وهذا القانون لا يمكن إنتاجه في معامل المختبرات، ولا رؤيته عبر مناظير التلسكوبات، ولا استخراجها من جداول الرياضيات، ولا يمكن أن تلهمه الصدفة!! بل **تَمَّ** الاهتمام إليه من عالم غير عالمنا، وهذا يعني بما لا شك فيه وجود الله الهادي إلى قانون الخير والشر في البشر، ويستحيل على الملاحظة أن يعتقدوا وجود القانون الأخلاقي بدون الله **عَزَّوَجَلَّ**. ألم يقل الله الخالق الحكيم عن الإنسان: **﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾** (البلد: ١٠) قال عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في تفسير النجدتين: "سبيل الخير وسبيل الشر" (١).

(١) [تفسير عبد الرزاق الصنعاني] ٣ / ٤٢٩ - ت د. محمود محمد عبده - ط / دار الكتب العلمية ببلناب.



ألم يُقَسِّمِ اللهُ عَزَّ أَمْرَهُ بِالنَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ قَائِلًا: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ (الشمس: ٧-٨)؟ قال ابن عباس ترجمان القرآن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي بيان ما هو فجور النفس وتقواها: "بَيَّنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ" (١)، فالخير والشر معلومان لدى كل نفس بشرية، مُلْهَمَةٌ بِهِمَا، مَهْدِيَةٌ إِلَى اخْتِيَارِ مَا تَرِيدُ مِنْهُمَا، وَهَذَا مَا كَانَ يَجِدُهُ فِي نَفْسِهِ الْكَاتِبُ الْإِيرَلَنْدِيُّ وَالْمَذِيْعُ الشَّهِيْرُ سِي. إِس. لُوَيْسُ فَقَالَ مَعْبَرًا عَنْ هَذِهِ الْحَقِيْقَةِ عِنْدَمَا كَانَ مَلْحَدًا: "اعْتَرَاظِيْ ضِدَّ الْإِيْمَانِ بِإِلَهِ هِيَ أَنَّ الْعَالَمَ غَيْرَ عَادِلٍ عَلَى الْحَقِيْقَةِ، لَكِنِّي كَيْفَ اسْتَنْتَجْتُ فِكْرَةَ الْعَدَالَةِ وَالظُّلْمِ؟! إِنْ الْإِنْسَانَ لَا يَقُولُ إِنْ الْخَطِئَ بِهِ اعْوَجَّاجٌ إِلَّا إِذَا كَانَ يَعْرِفُ الْخَطِئَ الْمُسْتَقِيمَ. بِمَ كُنْتُ أَقَارِنُ هَذَا الْكُوْنَ عِنْدَمَا قُلْتُ: إِنَّهُ ظَالِمٌ؟! " (٢).

ولهذا لو كان الإلحاد صحيحًا لما استنكروا وجود الشر، فالاعتراف بوجود الشر ينسف الإلحاد من أساسه، لأن العالم - في نظر الملاحدة - مَادِّيٌّ مُضْمَتٌ تحكمه حتميات ثابتة، فلا خير فيه ولا شر، ولا قداسة ولا نجاسة.

فدعوى الملاحدة كلهم بصحة إلحادهم بهذه الحجة الداحضة غفلة وجهل مركب، فلو كان الإلحاد صحيحًا لَمَا أَلْحَدَ أَحَدٌ، نَعَمْ؛ لَمَا أَلْحَدَ أَحَدٌ كَمَا قَالَ د. هيثم طلعت في إحدى لقاءاته التلفازية.

ومن ثَمَّ؛ فنفي الملاحدة لوجود الله بحجة وجود الشر ما هو إلا دعوى تناقض فطرة الإيمان المودعة في أنفسهم، والميثاق الأكبر الأزلي الذي واثقهم الله به

(١) [تفسير ابن جرير الطبري] ٢٤ / ٤٥٤ - ت أحمد محمد شاكر - ط / مؤسسة الرسالة بلبنان].

(٢) بواسطة بحث [إشكالية الشر والثيوديسيا عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب] د. رشا محمود رجب - مجلة كلية الآداب جامعة دمنهور عدد ٣١ ج ٢ (ص ١١٦٠ - ١١٦١)].

بالمربوبية له سبحانه، وإقرارهم بالشهادة على أنفسهم بذلك قبل الخروج إلى العالم المشهود، قال الله الخالق الحكيم مبيناً عهده بذلك مع بني آدم كلهم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ (الأعراف: ١٧٢).

وهذا النص القرآني يوضح بما لا لبس فيه أسبقية الإيمان على الإلحاد تاريخياً، وأن كل إنسان مفطور على الإيمان بالله ما لم تدخل على فطرته عوارض تفسدها من كفر وإلحاد<sup>(١)</sup>، وهذا هو جواب السؤال المصيري الذي عجز الملاحدة قاطبة عن الإجابة عليه، وهو: لماذا تظهر عقيدة الإيمان بالله في الإنسان وافتقاره إليه في عفوية ثابتة دائمة يشترك فيها النوع الإنساني في كل زمان ومكان؟ من أين جاءت فكرة التآليه هذه؟ لم يشعر الإنسان في أعماق نفسه بوجود الله، ويتجه إليه تلقائياً ويناديه نداءً مخلوق لا غنى له عن خالقه؟<sup>(٢)</sup>

ولذا؛ فمحاولة طمسه وإنكاره ما هي إلا عناد واستكبار، وشدوذ عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها، يقول فيكتور فرانكل: "إن الحاجة إلى التدين عنصر دفين في النفس البشرية، وقد نستطيع أن نخفي على غيرنا شعورنا الديني، ولكن إذا تعمدنا إخفاءه على عقولنا الواعية؛ وحاولنا أن نساير الاتجاه العصري في اعتبار التدين

(١) وانظر تفسير [التحرير والتنوير] ٩ / ١٦٦ - ١٦٨ / مصدر سابق] و [في ظلال القرآن] ٣ / ١٣٩٢ - ١٣٩٣ / مصدر سابق].

(٢) وانظر [إله الإلحاد المعاصر - ماركس - سارتر] لكوستي بندلي (ص ١٧ - ١٨) - ط / منشورات النور بلبنان].

والشوق إلى التعبد من مخلفات العقائد التي ورثناها عن الماضي العتيق، وليست هناك حاجة جوهرية إليهما؛ لتعرضت نفوسنا لصراع داخلي عنيف أشد خطراً على الأعصاب والصحة النفسية والجسدية من كبت الغرائز " (١).

إن السياق القرآني حين يقص علينا مشهد الإشهاد بين الله وبنى آدم وهم بعد في الأضلاب؛ فهو يذكر لنا غيباً من الغيوب التي يجب التصديق بها وإن لم ترها أعيننا، ولا لأحد بعد أن يقول: " كيف كان هذا المشهد؟ وكيف أخذ الله من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم؟ وكيف خاطبهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟ وكيف أجابوا: ﴿بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾؟.. فالجواب عليه: أن كيفيات فعل الله - سبحانه - غيب كذاته، ولا يملك الإدراك البشري أن يدرك كيفيات أفعال الله ما دام أنه لا يملك أن يدرك ذات الله " (٢).

ولسنا بحاجة إلى التذليل على ما في الوجود من أمور تجري لها أعمال بكيفيات معينة لا يملك البشر قاطبة إدراكها، فعدم الإدراك لا يدل على عدم الوجود، ومن أمثل ما يذكر في هذا المقام؛ الروح التي يعيش بها الناس، وكل إنسان أيام كان جنيناً في بطن أمه يبقى مدة الأربعة الأشهر الأولى لا روح فيه، وبعدها تدب فيه الحياة فيتحرك، فأى شيء سرى إليه وجعله يتحرك؟ أليست الروح التي جعلها الله غاية في الظهور وغاية في الخفاء؟ هل يمكن إدراك دخولها إليه؟ لم لا نسمعها؟ لا نراها؟ لا نلمسها؟ ثم إنه يخرج إلى عالم جديد ويُعَمَّرُ فيه ما شاء الله أن يُعَمَّرَ

(١) بواسطة [الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية] ص ٣١ - ٣٢ / مصدر سابق].

(٢) [(في ظلال القرآن) ٣ / ١٣٩٣ / مصدر سابق].

ثم يُرَدُّ إلى أرذل العمر، وفجأة يصير جثة هامدة لا حراك بها!! ما الذي حصل؟  
كيف خرج منه سرُّ الحياة (الروح) التي لا ترى؟

نؤمن وجميع البشر بهذه الظاهرة، والكل يراها تتكرر أمامه كرات ومرات وإن  
اختلفوا في حقيقتها، ولم يجد العلماء التجريبيون - ولن يجدوا - تفسيراً مادياً لها،  
ومن أي شيء هي؟ وكيف تسري في الأجساد فتحيا ثم تفارقها فتموت؟ ليكون  
الموتُ بظلاله السوداء الحقيقة المتجددة التي يصمت أمامها الإلحاد مُنكَّسَ  
الرأس، لا ينسب بنت شفة من معرفة أو برهان، تاركاً البشرية " في ذرات تائهة تافهة  
مجهولة المصير، ولا شيء غير المجهول " (١).

والكل - مؤمنون وملاحدة - يجدون أنفسهم مؤمنين بها طوعاً أو كرهاً من  
غير إدراك لها، وعلمهم بها أمر بدهي لا يحتاج إلى دليل. ألا يُعَدُّ هذا إيماناً  
بغيب غير مدرك؟ أليس في الإنسان دالةً باطنةً تهديه إلى غيوب يؤمن بها ولا  
يراها؟ فما الموقف إذاً من الغيوب الماضية والمستقبلية التي أخبر الله عنها؟

إنَّ " موقف المؤمن من الله كموقف التلميذ الذي يطمئن إلى علم أستاذه، فلا  
يمتحنه، ولا يتردد في قبول دروسه ومعارفه، فيكون هذا الاطمئنان برهاناً على أنه  
تلميذ صالح للتعلم، مستحق للمكافأة، وحسن الجزاء " (٢).

(١) كما في [(الوجه الحقيقي للإلحاد) ص ١٠١ / مصدر سابق].

(٢) اقتباس من [(عقائد المفكرين في القرن العشرين) ص ١١ / مصدر سابق].

وقد جاء في صحيح البخاري (٦٥٥٧) وصحيح مسلم (٢٨٠٥) ما يزيد الآية بيانا، فعن أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا، وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي».

وعندنا نَبَأٌ يَقِينٌ عن الذي تولى كِبَرَ هذه العوارض الصارفة لفطرة بني آدم، إنه الشيطان الرجيم عدو الإنسان المبين، والقرآن الكريم كثير التبيان لعداوته لبني آدم، حيث ذكره في (٨٨) موضعا، والآيات في هذا متنوعة، ومن أصرحها قول الخالق الحكيم عن إبليس الرجيم وهو يتوعدُّ وَيَتَعَهَّدُ بإضلال بني آدم: ﴿وَقَالَ لَا تَخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَّهْمُ وَلَا مُمَيَّنَهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْتِكُنَّ عَازَاتِ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ (النساء: ١١٨-١٢٠)، وقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيْبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ (البقرة: ١٦٨-١٦٩) ومقالات الملحدين في الله من جملة القول على الله بغير علم.

وَيَسِّنَ اللهُ الْخَالِقَ الْحَكِيمَ أَنْ الشَّيْطَانَ وراء كُفْرِ الْإِنْسَانِ، فقال: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ (الحشر: ١٦-١٧)،

وقد نجح الشيطان في إزاحة كثير من بني آدم عن الإيمان إلى الكفر، ولكن مما ينبغي التذكير به أن الشيطان لا يملك القوة والحاكمية المطلقة للكون كِنِدُّ للخالق سبحانه، ولا يملك قدرة التصرف في شؤون تسيير الخلق، بل هو جزء من النظام الإلهي الذي اختطه الله في هذه الحياة، وإنما أقدره الله على حرية رفض التبعية له، والمعارضة له سبحانه، ليكون هو مادة الشر، الساعي لإفساد الإنسان قدر الإمكان.

وجاء في الحديث القدسي ما يؤكد ذلك، ففي صحيح مسلم (٢٨٥٦) عن عياض المجاشعي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال فيما يرويه عن الله **عَزَّ وَجَلَّ** أنه قال: **«إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلِّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»**.

ومعنى: **«فاجتالتهم»**: أي صرفتهم عن فطرة الإيمان وأفسدتها، وساقطهم إلى الباطل، وجعلتهم يجولون معها في الضلالة.

فهلّموا؛ هلّموا إلى العودة لأصل فطرتكم، وانتظموا في سلك التناسق الوجودي. وأحسب أن هذا الجواب كافٍ لبيان خطأ سؤال الشر وعدم تماسكه، وسقوطه أمام أول جواب عليه.

لكن؛ تعالوا لنفكك معضلة الشر المعبّر عنها بصخرة الإلحاد أكثر، ونرى كيف تتبدّد هباءً منثوراً.

تُرى؛ لو ألحد الناس كلهم؛ أكان في هذا ما يُنهي الشر ويزيله؟

أَتَعْجَبُ !! لِمَ يُتَعَبُّ الملاحدة عقولهم بهذا التناول السطحي لمسألة معضلة

الشر: الشر موجود، إذ الله غير موجود !!!

إنهم بهذا لا يحلون المعضلة ولا يفككونها، بل يفشلون بالهروب منها وعدم فهمها وحلها حلاً منطقيًا علميًا، وهل من العقلانية وضع المشكلة ثم تركها بلا حلّ؟ هذا ما لا يفعله الإنسان الواعي، وواجبه الأخلاقي يأبى ذلك. نعم؛ ففاقد الشيء لا يعطيه، فالإلحاد لا يعطي حلاً مريحاً لمن أصيبوا بالشر، ولا يقدم للعالم حلاً عملياً لمعضلة الشر، ولا أمل يَعدُّ به الناس سوى الفناء والانقراض، لأنه لا مشكلة في الشر عند كل ملحد مادي، لأن هذا ضد معتقده في كلِّ من الخير والشر كقيمة، كيف وصاحبه يعتقد أن (كل شيء في الحياة بلا معنى)؟ بينما نجد الإيمان يعطي ذلك كله، ويُقدِّم ذلك بإقناع عقلي مريح للنفس ومُطمئنٍ لها، مُمدِّ لها بالخير البديل في الدنيا والآخرة، وبدون الإيمان بالله يبقى سؤال الشر بلا جواب يريح النفس ويُسلِّي عليها مصائبها.

على أن جملة (كل شيء في الحياة بلا معنى) هل لها معنى يا قائلها؟

إن قلت: نعم لها معنى؛ فللحياة بطولها وعرضها ونظامها وإتقانها وتنوعها معنى ولا بُدَّ، وإن قلت: لا؛ سقط الاحتجاج بها، وغارت تَتَرَنَّحُ في مجاهل السقوط غير مأسوف عليها (١).

هذه الشبهة "تبدو في ظاهرها قوية، ولكنها [عند التأمل] محملة بشحنة عاطفية ضخمة تجعل حكمها غير صحيح" (٢)، وتلوذ بملاذٍ غير آمن للمغالطات، لأنه مكشوف، ولأنها تَمَّ النظر إليها من جانب إنساني شخصي لا من جانب كوني قدري.

(١) وانظر [(الوجه الحقيقي للإلحاد) ص ٨٢ / مصدر سابق].

(٢) [المصدر السابق (ص ٩٢)].

فحقيقتها عدم الرضا عن الشر، والتوجع مما يشاهد هنا وهناك من أمراض وقتل وآلام، وهذا شعور عاطفي (خوف + غضب) لا علاقة له بوجود الله كما ترون، " وهما من حالات فقدان التركيز العقلي والسيطرة على النفس " (١).

ولأن الإنسان محدود العلم والفهم والقدرات؛ فيأتي الاعتراض من الملحدين على أفعال الله وما قَدَّرَهُ في هذه الحياة لا على وجود الله، ويرون أن الله يحول بينهم وبين تحقيق ما يريدون! فالمشكلة عندهم في فهم الإله لا في الإله نفسه، في صفاته لا في وجوده، ولذا؛ فأصحابها يفترضون صفات وهمية في الإله الذي يريدون، وحقيقة الأمر ومؤداه: إله غير موجود! وما إلحادهم إلا رفض لأمر الله وخلقته أكثر مما هو نفي لوجوده، واتباع لهوى النفس بدلاً من حديث العقل، ليصير الهوى إلههم الجديد ويدخلوا في استعباده طائعين، والقرآن بدوره يكشف هذا السلوك الشاذ، ويبين أوهام أصحابه، ودعاواهم التي لا تستند إلى دليل علمي ولا برهان منطقي، فيقول الله الخالق الحكيم **جَلَّ جَلَالُهُ**: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمِهِ وَخَتَرَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ (الجاثية: ٢٣-٢٤).

ثم ما الذي جعل الملاحدة يقولون: هذا شر!؟

(١) كما قال أد. خالد الدريس في مقال له بعنوان: [(لماذا أسلم فيلسوف الرياضيات الملحد؟ -

١- وجدتُ القرآن كأنه يقرؤني) - موقع طريق الإسلام].



أليس هذا سؤالاً أخلاقياً؟ وهم يدعون إلى نبذ الأخلاق وجعل الكون لا أخلاقياً؟ ألم يقولوا من قبل: لا خير في هذه الحياة ولا شر، وإنما نحن عبارة عن ذرات ومواد لا روح فيها ولا نفس ولا ضمير، وصرنا في عالم عشوائي من التفاعلات الكيميائية؟ وأفعالنا رذاتٌ فعِلْ لإشاراتٍ مُخَيِّةٍ وَعَصَبِيَّةٍ، فلا ثواب ولا عقاب، ولا حلال ولا حرام؟!!

أرأيتم كيف نقضوا كلامهم من أساسه؟

أيها الملحد: فَسِّرْ لي الشرَّ أولاً؛ أفسِّرْ لك سبب وجوده.

هل هو قيمة مادية؟ ما البرهان العلمي على ذلك؟

هل يمكن للمادة أن تعطينا قيمًا شريرةً أو خيرةً؟

هل يستطيع علماء الإلحاد أن يكوّنوا للأخلاق صيغاً علمية وقوانين فيزيائية

ليتم اعتمادها في المعامل، وتدريسها في الجامعات؟

لم يبق إلا التأكيد على أن اسمية الشيء بـ (الشر) فهذا مصطلح غير مادي،

واكتسب (الشر) هذا الاسم من عالم ميتافيزيقي خارج عن طبيعتنا، في إجماع بشري

لا يُشَدُّ عنه إلا معاند.

وعلى الرغم من وضوح هذا الأمر؛ فلا بأس من توضيحه أكثر، فنقول: إن وجود

الشر يعني وجود الله جلاله ولا بُدَّ:

وجود الشر = وجود الله

وحيث إن وجود الشر يستلزم وجود الخير؛ ووجودهما يستلزم وجود قانون أخلاقي ينتظمهما؛ فوجود هذا القانون الأخلاقي يعني بدهاة وجود مُلهمه في البشر، وهو الله رب العالمين.

والعكس بالعكس؛ فإنكار وجود الله يعني إنكار وجود قانون أخلاقي تنتظم به حياة البشر، وإنكاره يعني أنه لا وجود للخير والشر، ولا يوجد ملحد على وجه الأرض ينكر وجود الشر، وهذا يؤكد لنا صحة الحقيقة القائلة: لا يوجد إلحاد مطلق، لأن إيمان الملحد بوجود الشر إيمان بالله في جزئية الشر هذه وهو لا يشعر، وهذا يكشف لنا أنه لا يوجد إلحاد متماسك، وأن معضلة الشر صارت معضلة عليهم، وأن التناقض سيما الملحدين أينما شرقوا أو غربوا، وأفكارهم كلما ازداد النقاش فيها ألغى بعضها بعضاً، وتتغير فرضياتهم باستمرار بما يؤدي إلى تصادم نتائجها، وتراهم يهدمون منهجهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، ويعيشون حياة تخالف إلحادهم الذي لا يعدو سوى أفكار تهيم في الظنون والهوى، وربنا الخالق الحكيم أصدق القائلين يقول في مثل هؤلاء: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

أَخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ (النساء: ٨٢)

إنهم لا يقرون بوجود الله ابتداءً حينما جعلوا الوجود من صدفة! فكيف يجعلون من معضلة الشر سبباً لنفي وجود الله؟! أم فرّوا من معضلة الشر بنفي وجود الله وخلق له للكون إلى نسبة ذلك إلى الصدفة؟ أم هو التخبط المعهود؟!

وإن مقدمتهم في تقرير أن الإله يجب أن يكون مطلق القدرة محباً للخير والعدل متصفاً بالحكمة ما هي إلا مغالطة لعدم الرضا عن الله وما يقضي به من أحكام

وأقدار، إذ لو كانوا يعتقدون ذلك حقاً لَكَزِمَهُمْ من هذه الكمالات إثبات حكمة أفعال الموصوف بها، وأن ما يفعله ويُقدِّرُهُ فلغاية مقصودة منه سبحانه، " إذ وجود الملزوم بدون لازمه؛ والمشروط بدون شرطه ممتنع " (١).

أليس إلهاً؟! فلماذا تسلبونه حُرِّيَّةَ ما يُريد وَيَفْعَل وَيُقَدِّرُ؟! وتنفون عنه حكمة ما يقضي ويحكم ويُشْرِعُ؟! سبحانه ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: " لا لمجرد قدرته وقهره؛ بل لكمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته " (٢)، فما أَحْسَسَ الإنسان حين يجرؤ على قياس نقصه بالكمال المطلق!

فَلَا تَظُنَّنَّ بِرَبِّكَ ظَنَّ سَوْءٍ      فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ  
وَلَا تَظُنَّنَّ بِنَفْسِكَ قَطُّ خَيْرًا      فَكَيْفَ بِظَالِمِ جَانٍ جَهُولِ

قال بوب جيسوب أستاذ الفلسفة وعلم النفس بجامعة (هل) البريطانية في رسالة له بعنوان (لم الدين؟): " ونحن نأبى أن نصف شيئاً بوصف الربانية ما لم يكن أسمى وأقدر من كل شيء نعرفه في نطاق المكان والزمان " (٣).

ثم إن نفي القانون الأخلاقي برمته يؤدي إلى نفي الواجب الأخلاقي الرابط بين الإنسان وما حوله، وهذا شر آخر يُضافُ إلى الشر الذي أنكروه، ونفوا وجود الخالق بسببه !!

(١) [مدارج السالكين] لابن قَيِّم الجوزية (٣ / ٢٧٧) - ط / دار الحديث بمصر.

(٢) [مجموع الفتاوى] ٨ / ٧٩.

(٣) كما في [عقائد المفكرين في القرن العشرين] ص ١٢ / مصدر سابق.

فاغتصاب فتاة مثلاً له غاية عند المغتصب، ولكن ليس له (قيمة شرّاً) عند الملحد! وممارسة الجنس - كما يقول أحدهم - بين الإنسان والحيوان أمر محمود، ولا شرّ فيه طالما يؤدي إلى استمتاع الطرفين!! والقائمة في هذا تطول وتطول.

وهذا المفهوم القيمي الضارب في النكارة والشذوذ أنبته رجس قاعدة الملاحظة المشهورة: "إذا لم يكن الله موجوداً؛ فكل شيء مباح".  
فلا إله إلا الله!! كم من الشرور والجرائم وكذتّها هذه الكلمة؟ لا عدّها ولا حدّاً!!! والشواهد لا تخفى على أحد.

أليست هذه ثغرة تناقض في مذهب القوم وقعوا فيها وهم لا يشعرون؟! قال البروفيسور هوبار مورير - وكان رئيساً للرابطة الأمريكية لعلم النفس - وهو بصدد ذكر عاقبة التحرر من الأخلاق: "وعندما أصبحنا غير أخلاقيين ومحايدين، وتحررنا من الأخلاق؛ قطعنا بذلك جذور كياننا، وفقدنا شعورنا العميق بالذات والهوية!! وجدنا أنفسنا نسأل مع المصابين بالأمراض العصبية: مَنْ أنا؟ وما هو قدرتي الأعمق؟ وما معنى الحياة؟" (١).

ويبقى السؤال قائماً: ماذا يحدث للإنسان عندما ينفذ عنه نزعتة الإنسانية، ومبادئه الأخلاقية، وقيمه الدينية؟

(١) [هل يستطيع الإنسان أن يحيا من دون الله؟] د. رافي زكرياس (ص ٢٣١) - ترجمة بولس رعد

لقد فعّل الإنسان هذا في العقود الأخيرة، واستبدل كل ذلك بأفكار ونظريات إلحادية جامحة تجاه الإنسان والكون والأخلاق والدين؛ فماذا حدث؟

ألم يزدد الشر في أرجاء العالم؟ أليست الفضيلة في قفص الاتهام؟ والرذيلة تسرح وتمرح مَزْهُوَّةً على الدوام؟ ألا يُعَدُّ مرح الرذيلة وشيوعها، واتهام الفضيلة بالإرهاب خيراً عند فئام من الناس؟ أليس كذلك؟

قال فيلسوف بريطانيا الشهير جون لوك أحد منظري الدولة المدنية الحديثة: "وأخيراً؛ لا يمكن التسامح على الإطلاق مع الذين ينكرون وجود الله، فالوَعْدُ والعَهْدُ والقَسَمُ من حيث هي روابط المجتمع البشري ليس لها قيمة بالنسبة للملحد، فإنكار الله حتى لو كان بالفكر فقط؛ يُفكِّكُ جميع الأشياء" (١).

وأعجب منه قول فيلسوف فرنسا التنويري فولتير: "لِمَ تُشَكِّكُونَ في الله؟! ولولاه لخانتني زوجتي، وسرقني خادمي!!" (٢).

وقال في رسالة للملحدين: "لو لم يكن الله موجوداً؛ لكان ينبغي إيجاده" (٣).

وبين سبب ذلك بقوله في مفتح مقالته المعنونة بـ (هل من فائدة من تنشئة الشعب على الخرافة؟) ضمن كتابه (رسالة في التسامح) (٤): "قد يكون الجنس

(١) من كتابه [رسالة في التسامح] ص ٥٧ - ترجمة منى أبو سنه - ط / المجلس الأعلى للثقافة بمصر].

(٢) [الإلحاد وسبب انتشاره] لمحمود يوسف الشوبكي (ص ٣٩٣) رسالة ماجستير - ط مرقومة / الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة].

(٣) انظر [الموسوعة الفلسفية العربية] ٢ / ١٧١ - مصدر سابق].

(٤) [ص ١٥٣] ترجمة هنرييت عبودي - ط / دار بترا بسوريا].

البشري من الضعف وفساد الخلق إلى حَدِّ قَدْ يُؤَثَّرُ معه لجمه بكل ضروب الخرافات الممكنة - بشرط ألا تكون قاتلة - على أن يعيش بلا دين! فلطالما احتاج الإنسان إلى كابح يلجمه. ومع أن تقديم القرابين إلى آلهة الحقول، وربّات الغابات، وحوريات الأنهار، قد يبدو مثيراً للسخرية؛ تبقى عبادة هذه الأشكال الغريبة من الآلهة أكثر تعقلاً، وأكثر فائدة من الإلحاد. فالملحد الذي لا يفتأ يحتاج ويجادل بعنف ولجاج لا يكون أقلّ بلوى وأذيةً من المؤمن - الدموي المنزع - بالخرافات... فحيث يقوم المجتمع؛ يغدو الدين ضرورياً. فالقوانين تسهر على ردع الجرائم المنظورة، والدين على ردع الجرائم المستورة "أهـ".

وواضح من السياق أن فيلسوف التنوير لا يريد مدح الخرافة كخرافة، ولكن للمقابلة بينها وبين الإلحاد يراها أفضل من الإلحاد، لأن الإلحاد غير معقول، وحياة لا تُستطاع، ووجود الإنسان بدين - ولو بخرافة - خير من أن يبقى ملحداً بلا دين، والهمج فقط هم من لا يعتنقون أي دين!

حقاً؛ كم هو صادم لأرباب الإلحاد قول فولتير هذا؟! (١).

حسناً؛ لنقل الآن ما يستحق أن يقال: من الذي يحدد شَرِيَّةَ شيءٍ ما؟ هل اتفق البشر على مرجعية واحدة تحدد لهم الشيء الفلاني أنه شر، وغيره لا يدخل في الشر؟

(١) ولم يكن عدواً لله، إنما كان نقده للأديان التي أساءت إلى الله، وبشكل رئيسي للكاثوليكية الفرنسية وآبائها، وعلّل وجود العديد من الملحدّين بسبب فسادها ونظام رهبنتها، وعدّه مسخاً للطبيعة البشرية. انظر مقالة [كبار فلاسفة التنوير.. هل كانوا ملاحدة؟] د. عائض بن سعد الدوسري - موقع أثارة] و [(الموسوعة الفلسفية العربية) ٢ / ١٧١ - مصدر سابق].

الجواب معروف، والاستتاج معروف، وهو: الشر نسبي، ولا يوجد شرٌّ مطلق في الوجود.

إن هذا عين ما نريد أن يفهمه الملاحدة هداهم الله، فما ترونه شرّاً يستحيل أن يخلو من خير، علمتموه أو جهلتموه، والجهل بالشيء لا يدل على العدم، ومن القوانين العقلية: عدم العلم لا يدل على عدم الوجود، وإذاً؛ فعدم العلم جهل، وما يبدئ الجهل وما يعيد، قال الإمام ابن أبي العز الحنفي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: " فإنه سبحانه لم يخلق شرّاً محضاً من جميع الوجوه والاعتبارات، فإن حكمته تأبى ذلك، فلا يمكن في جناب الحق تعالى أن يريد شيئاً يكون فساداً من كل وجه، لا مصلحة في خلقه بوجه ما، هذا من أئيين المحال، فإنه سبحانه الخير كله بيديه، والشر ليس إليه، بل كل ما [أضيف] إليه فخير، والشر إنما حصل لعدم هذه الإضافة والنسبة إليه، فلو كان إليه لم يكن شرّاً، فَتَأَمَّلْهُ " (١)، فالشر نسبي إضافي، أما شر كلي أو مطلق؛ فالله منزّه عن ذلك سبحانه.

وقال الإمام أبو حامد الغزالي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: " وليس في الوجود شر إلا وفي ضمنه خير، لو رفع ذلك الشر لبطل الخير الذي في ضمنه، وحصل بطلانه شر أعظم من الشر الذي يتضمنه، فاليد المتأكلة قطعها شر في الظاهر؛ وفي ضمنه الخير الجزيل، وهو سلامة البدن، ولو ترك قطع اليد لحصل هلاك البدن، وكان الشر أعظم، وقطع اليد لأجل سلامة البدن شر في ضمنه خير " (٢).

(١) [شرح العقيدة الطحاوية] ١ / ٣٣١ - ٣٣٢ / ت د. عبد الله عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط - ط / مؤسسة الرسالة ببلبنان].

(٢) [المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى] ص ٦٥ - تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي - ط / دار ابن حزم ببلبنان].

أيها الملحد: من الآن فصاعداً؛ أي شرّاً لا ترى فيه خيراً؛ فاعتقد أن فيه خيراً، وبقليل من التأمل ستدرك ذلك، فإن كان الخير خفياً أو سيتأخر ظهوره؛ فلا تكن كالطفل يرى الشر كله في إبرة الدواء وهي تُغرَزَ في وريده، ولا يرى الدواء الذي فيه شفاؤه بعدها.

فيا هؤلاء تذكروا؛ إن الألم الذي وقع للطفل في وريده ألم خاص، لكنه جرّ إلى نفع عام سيستفيد منه الجسم كله، وبهذا فاعتبروا فيما حولكم ولا تكوننّ من المتشائمين، وتأكدوا أن الرحيم الرحمن لا يريد الشرّ للشرّ، ولكن لغيره، فهو أحكم الحاكمين، وهو أرحم بعباده من أنفسهم ومن الخلق أجمعين، وإلا:

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا      وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي  
وَلَوْ نَارًا نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَتْ      وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادٍ

ومن الملحد الذي يجرؤ على إنكار الشرور السوداء التي صنعها منظرو وفلاسفة الإلحاد ونظرياتهم في البشرية خلال العقود الماضية؟

إن القول بنفي الإله بسبب وجود الشر؛ سيزيد الوجود شروراً لا نهاية لها، حيث لا معنى للحياة، ولا قيمة للوجود، حيث التشاؤم الأسود، واليأس القاطع لكل أمل، وستبوء كل محاولة للملاحظة لإيجاد معنى منطقيّ لسؤال الشر بالفشل لوقوعهم في فخّ اللامنطق، وسيؤول نزعهم لفتيله إلى تفجير الكون بالشرور (الاستنساخ، الإيدز، الانتحار، القتل الرحيم، إدمان الكحول والمخدرات، التفكك الأسري، الرقيق الأبيض، الجريمة المنظمة، استغلال الأطفال في إنتاج المواد الإباحية، الشذوذ، إرهاب الدول والحكومات والأفراد بالحروب والحصار، ازدياد الأديان والأخلاق، العولمة الأنانية، الفوضى الخلاقية، تدمير الكون



بالخيال العلمي)، أليس كل هذا وغيره من مواليد رحم الإلحاد النجسة الموجودة اليوم !!!

ثم يأتي ملحد ويتساءل مستنكراً: لِمَ كل هذا الألم في العالم؟ لم لا يتدخل الله لإيقاف هذا الشر؟

حسناً؛ وأنتم ماذا كنتم تفعلون طيلة عصر المادة وشروره الإلحادية التي عمّت البشر والشجر والحجر والقمر؟! ليس هذا بعُشْك فاذرُج، والسلام على من لا يتكلم بالهوى.

قال الإمام المحقق ابن قَيِّم الجوزية رَحْمَةُ اللَّهِ: "الفقيه كل الفقيه الذي يَرُدُّ القدر بالقدر، ويدفع القدر بالقدر، ويعارض القدر بالقدر، بل لا يمكن للإنسان أن يعيش إلا بذلك، فإن الجوع والعطش والبرد وأنواع المخاوف والمحاذير هي من القدر، والخلق كلهم ساعون في دفع هذا القدر بالقدر. وهكذا مَنْ وفقه الله وألهمه رشده يدفع قَدَرَ العقوبة الأخروية بقَدَرِ التوبة والإيمان والأعمال الصالحة، فهذا وِزَانُ القَدَرِ المخوف في الدنيا وما يضاهاه سواء، فَرَبُّ الدارين واحد، وحكمته واحدة، لا يناقض بعضها بعضاً، ولا يبطل بعضها بعضاً. فهذه المسألة من أشرف المسائل لَمَنْ عرف قدرها، ورعاها حَقَّ رعايتها، والله المستعان" (١) وصدق رَحْمَةُ اللَّهِ، ما أنفس كلامه !

ولن تعدو هذه الشبهة قدرها، فليس فيها دليل عقلي مقنع، ولا برهان منطقي، ومن خلالها يريد أصحابها رَبًّا بمقاسهم البشري القاصر الجهول الظلوم، وهذا

(١) [الداء والدواء] ص ٣١ / ت: علي بن حسن الحلبي - ط/ دار ابن الجوزي بالسعودية.

أمر يقع فيه الكثير، اعتماداً على النظر العقلي الظاهر الدال على عدم نضجهم الفكري، وإلا لو استُصْحِبَ الأصل وهو أن الخالق كامل في أوصافه، حكيم في أفعاله؛ لما بقي لهذا الخاطر الشيطاني الأصل مكان في النفس، وقد لَخَّصَ الإمام أبو الفرج ابن الجوزي رَحْمَةُ اللَّهِ هَذَا الأمر بعد أن ذكر ما يجري للبشر من الآلام والحروب والأمراض والمجاعات، بل والعقوبات على الذنوب والاعتراض عليها، واستنكار العقل لها لعدم ظهور الحكمة فيها، فأجاب مبيناً سبب ذلك فقال: " والسبب ما ذكرنا؛ وهو الأَنَسُ بنظر العقل في البديهة والعادات، والقياس على أفعال المخلوقين، ولو استخرجوا علم العقل الباطن، وهو أنه قد ثبت الكمال للخالق، وانتفت عنه النقائص، وعلم أنه حكيم لا يعبث، لبقِيَ التسليم لِمَا لا يعقل " ثم قال: " واعتبرَ هذا بحال الخضر وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، لَمَّا فعل الخضر أشياء تخرج عن العادات؛ أنكر موسى، ونسي إعلامه له: بأني أنظر فيما لا تعلمه من العواقب. فإذا خَفِيَتْ مصلحة العواقب على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع مخلوق؛ فأولى أن يخفى علينا كثير من حكمة الحكيم.

وهذا أصل إن لم يثبت عند الإنسان أخرجه إلى الاعتراض والكفر، وإن ثبت استراح عند نزول كل آفة " (١).

كم هي الشرور التي هي من فعل الإنسان وكسب يده؟! فما علاقة هذا بوجود الله؟ وكون أن الله يرى هذا الشر؛ فهذا معناه أنه ترك للإنسان حرية فعل الخير والشر (الإرادة الحرة)، وهذا بحد ذاته نعمة إلهية، فحرية الإرادة لا تكون إلا بممارسة

(١) [صيد الخاطر] ص ٣٨٧ بعناية : حسن المساحي سويدان - ط / دار القلم بسوريا].

الخير أو الشر غير مُكْرَهٍ على أحدهما أو كليهما، وبذا يصير وجود الشر شرطاً  
لنعمة الإرادة الحرة وممارستها كما قال الفيلسوف الأمريكي ألفن بلانتنجا<sup>(١)</sup>،  
وسيكون وجود عالمٍ يُمارَس فيه الإنسان حريته في الخير والشر أكثر قيمة  
واستحقاقاً للعيش من عالمٍ لا يمارس فيه حريته فيهما.

وعلمُ الله السابق بوقوع الشر وجعله ممكن الحدوث لا يتعارض مع هذه الحرية،  
غاية ما في الأمر أن الله يعلم من قبل ما سيختاره الإنسان بمحض إرادته وحريته،  
وممارسته الشرِّ عملياً، فسماحه له سماح بالحرية، وليس الشر إلا من مفعولاتها،  
فالله بهذا المفهوم ليس مسؤولاً عن الشر، ولا يريد التدخل لمنعهِ وإزالته، وإلا  
سيكون في منع الشر إلغاءً لحرية الإنسان، وسلباً للإرادة، وجبراً على الاختيار،  
ونكون حينئذٍ بشراً غير حقيقيين، بل آليين مُبْرَمَجِينَ، وهو ما ينتزه عنه الرب الحكيم  
سبحانه<sup>(٢)</sup>.

وهذا مثله كمثّل شركة سياراتٍ عالمية، تعرض إنتاجها الجديد من السيارات،  
ومع كل سيارة مُعَرَّفٌ وَرَقِيٌّ مُصَوَّرٌ (كتالوج) عن مميزات السيارة، وتعليمات يجب  
على السائق اتباعها، وخيارات تشغيلها، وما هي الأعطال المحتملة التي تخالف  
هذه التعليمات؟ فهل الشركة مسؤولة عن العطل الذي سيقع فيه سائق السيارة؟ هل  
علمها السابق بالعطل يبيح للسائق أن يُحْمَلَهَا جَبْرُهُ - كما يزعم - على الوقوع فيه؟  
هل يحق له أن يقول: هذا خلل كبير، وعطل شرُّه مستطير، أيُّ شركة هذه؟ هذه

(١) انظر [إشكالية الشر والثيوديسيا عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب] ص ١١٢٠ - مصدر سابق].

(٢) وانظر [من صنع الله؟] د. رافي زكارايوس (ص ٤٠ - ٤١) - ط / دار منهل الحياة ببلنابان].

الشركة لا تستحق أن يُعترفَ بها، بل لا وجود لها مع هذا الشر الخطير! فهل عاقل يقول هذا؟! ولو أنه التزم بتعليمات الشركة لَمَا قَالَ مَا قَالَ، وَكَمَا وَقَعَ فِي هَذَا الشَّرِّ الذي جناه على نفسه وعلى الآخرين، ويريد أن يُحمّلَ الشركةَ تَبِعَةً وَجُودِهِ!

وإذا صَحَّ التعبير؛ فكتاب الله المنظور بآياته المجلوة (الكون) وهو عالم الخلق، وكتابه المسطور بآياته المتلوة (القرآن) وهو عالم الأمر؛ هما (كتالوج) الإنسان في الحياة.

إن الملاحظة بشبهتهم هذه يريدون أن يُبرِّؤوا أنفسهم من الشرور والآثام التي يرتكبونها بأن الله هو الذي أجبرهم عليها وهو المسؤول عنها، وإلا فليكن منفيًا غير موجود، ولنعمل بعد ما نشاء، فلا حسيب ولا رقيب؟!

هذا أحد تعليقات ما تُكِنُّه صدورهم من كِبْرِ يصددهم عن الإيمان بالله، وطاعته فيما أمر، وترك ما نهى عنه وَزَجَرَ، والله الخالق الحكيم سبحانه يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾ (غافر: ٥٦)

فما هو إلا جدال بغير علم، وعناد وتشغيب ليس وراءه طائل .

وها هو أحد أعمدة الإلحاد الفيلسوف الإنجليزي الشهير برتراند رَسَل ! يخبر عن نفسه أنه ليس جاداً ولا مخلصاً ولا صادقاً في ادعائه أن ما عليه العالم من شرور هو سبب رفضه لفكرة وجود الله؛ إن الأمر كما يقول هو عنه: " مرَدُّ هذا من غير شك إلى ضعف الشعور الديني لَدَيَّ " (١).

(١) كما في [تسونامي ومشكلة الشر والنجاة من البلاء] - مصدر سابق].

وصفة الكبر التي عليها الملحدون قادتهم إلى أمور (١)، منها:

١- التكذيب بالحق لجهلهم به كما قال ربنا سبحانه: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا

بِعِلْمِهِ﴾ (يونس: ٣٩) وَمَنْ جَهْلٌ شَيْئًا كَذَّبَ بِهِ وَعَادَاهُ.

٢- الإعراض عن الحق مع وضوحه لكل أحد كما قال جلّ قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ

مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (يس: ٤٦).

٣- الاغترار بما عندهم من العلوم الظاهرة والفرح بها اكتفاءً عن غيرها كما

قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ

بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (غافر: ٨٣).

٤- المجادلة بالباطل لدحض الحق البين الواضح وردّه كما قال عزّ أمره:

﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ (غافر: ٥).

٥- صدّ الناس عن سبيل الله وتشويهاها حتى لا يسلكها أحد كما قال ربّ العزة

سبحانه عنهم: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾

(الأعراف: ٤٥).

وإذا أمعنا النظر في إشكالات الملحدين فسنجد أن هناك فجوة تفسيرية لدى

الملحدين لم يستطيعوا ملأها بما يناسب، فذهبوا إلى الإنكار المطلق !!! فهل

حُلَّت المشكلة التي توهموها بهذا؟! إن إنكارهم لوجود الله لم ولن يغير من

الأمر شيئاً.

(١) انظر [الإلحاد وسائله، وخطره، وسبيل مواجهته] د. صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي

(ص ٢٥ - ٢٦) ط/ دار اللؤلؤة ببلبنان - مع تصرف وزيادة.

هل أوجدوا بذلك البديل الصحيح لمشكلة الشر؟ أم هو عجز التفكير عن الإجابة الصحيحة فكان الإلحاد الأسود المتشائم؟ ما الذي نتوقعه من فلسفة التشاؤم التي ينظر أصحابها بعين واحدة لا ترى إلا الشرّ وتغالي فيه وتسيء فهمه؟ إن الإنسان لن يستطيع فهم أقدار الله في الحياة وتقلباتها كلها بمعاييره العقلية البشرية، لأنها بطبيعتها أكبر من مستوى العقل البشري، وأوسع من المجال الذي يعمل فيه العقل البشري.

فإدراك أسباب ما في الوجود بجميع تفاصيلها يقتضي أن يكون الإنسان إلهًا، ولن يكون الإنسان إلهًا، وهذا أمر بدهي واقعي، لا بد للإنسان أن يُسَلَّم به أولاً، ويُسَلَّم بمقتضياته ثانيًا، وليس له بعد ذلك تنقيح أقدار الله وتحريرها لصرها عما وُجِدَتْ له، أو تكذيبها ورَدِّهَا، وإنما الشأن أن يُحَسِّنَ فهم أقدار الله بقدر ما يستبين به الحِكْمَ والمقاصد التي ضَمَّنَهَا الرب الحكيم أقداره، والله ذرُّ القائل:

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَاحِحًا      وَأَفْتُهُ مِنْ الْفُهْمِ السَّقِيمِ  
وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْأَذْهَانَ مِنْهُ      عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْفُهْمِ

قال الإمام ابن قَيِّم الجوزية **رَحْمَةُ اللَّهِ**: " ما اتهم أحدٌ دليلًا للدين إلا وكان المُتَّهَمُ هو الفاسدُ الذهن، المأفونُ في عقله وذهنه، فالآفة من الذهن العليل، لا في نفس الدليل، وإذا رأيت من أدلة الدين ما يُشكِّلُ عليك، وَيُنْبُو فهمك عنه؛ فاعلم أنه لعظمته وشرفه استعصى عليك، وأن تحته كنزاً من كنوز العلم، ولم تُؤت مفتاحه بعد " (١).

(١) [مدارج السالكين) ٢ / ٢٧٣ - مصدر سابق].

وفي أحداث قصة موسى مع الخضر **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ** المقصودة في سورة الكهف (من آية ٦٠ - ٨٢) أمثلة تُعرِّفُ الإنسانَ الحِكَمَ المُغَيَّبَةَ من الأقدار الإلهية الجارية على الحياة والأحياء، التي ظاهرها شرٌّ وباطنها خيرٌ مع مخالفتها للمنطق العقلي، وجريانها على وجود الشيء ونقيضه المثير للاستنكار!! وخلاصتها في قول الخضر لموسى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ (الكهف: ٦٨) وكيف استنكر موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** ما يحدث، والذي هو في الحقيقة يحكي حالنا مع الأقدار المؤلمة التي نراها شرًّا، فهو يعبر عن أفكار البشر كلهم، ويعيش بنفس التساؤلات التي تعترى سائر البشر.

**والقصة بفصولها الثلاثة: (خرق السفينة - قتل الغلام - ترميم جدار اليتيمين) تدور على ثلاثة محاور مركزية، هي:**

- ١- أيها الإنسان: لا تَسْتَنكِزْ أقدار الله المؤلمة المكروهة، لأنك لا تستطيع إدراك خفاياها، فهي أكبر من عقلك، وأوسع من نظرك.
- ٢- أيها الإنسان: تَعَلَّمْ كيف تواجه أقدار الله المؤلمة المكروهة (الشر)؟
- ٣- أيها الإنسان: كُنْ على يقين بحتمية وجود خير مع كل شر وإن بدا ظاهره مؤلماً.

وبديل ذلك كله: الوقوع في ضلالة الإلحاد العمياء!!!

وخلاصة الخلاصة: في قول الحق **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ يُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

فَكُلُّ شَرٍّ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ خَيْرٍ يُقَابِلُهُ، كَمَا أَنَّ كُلَّ خَيْرٍ فَلَا بُدَّ مِنْ شَرٍّ يُقَابِلُهُ، فَهَمَا كَالْعَمَلَةِ الْمَعْدِنِيَّةِ لَهَا وَجْهَانِ، فَكَمَا لَا يُمْكِنُ رُؤْيُهُمَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ؛ فَكَذَلِكَ لَا يُمْكِنُ رُؤْيَةُ الشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِي آنٍ وَاحِدٍ، فَنَحْنُ لَا نَرَى الصُّورَةَ كَامِلَةً، نَرَى جُزْءَ الشَّرِّ، وَيَخْفَى عَلَيْنَا جُزْءُ الْخَيْرِ الْكَامِنِ وَرَاءَهُ، وَكَمَا لَا يُتَصَوَّرُ وَجُودُ عَمَلَةٍ بِوَجْهِ وَاحِدٍ؛ فَكَذَلِكَ لَا يُتَصَوَّرُ وَجُودُ حَيَاةٍ بَدُونَ شَرٍّ، قَالَ أَنْدَرُو كُونَوَايَ إِيْفِي أَسْتَاذُ الْفِسْيُولُوجِيَا وَرِئِيسُ قِسْمِ الْعُلُومِ الْإِكْلِينِيكِيَّةِ بِكَلِيَّةِ الطَّبِّ بِجَامِعَةِ شِيكََاغُو فِي كِتَابِهِ (وَجُودُ اللَّهِ حَقِيقَةٌ مُطْلَقَةٌ): " فَالْإِنْسَانُ يَسْتَطِيعُ إِذَا شَاءَ - بِخِدَاعِ نَفْسِهِ - أَنْ يَنْكُرَ وَجُودَ اللَّهِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَحَمَّلَ النَّتَائِجَ. وَمَعْظَمُ الْمَلْحِدِينَ وَالْمَارْقِينَ مِنَ الْأَدِيَانِ يَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ كَمَا لَوْ كَانَ بَشَرًا يُمْكِنُ التَّعَامُلُ مَعَهُ تَعَامُلَ الْأَنْدَادِ فَيَقُولُونَ مِثْلًا: سَوْفَ أَعْتَقِدُ بِوَجُودِ اللَّهِ إِذَا شَفَانِي مِنْ مَرَضِي، أَوْ إِذَا أَنْزَلَ الْمَطْرَ، وَإِذَا قَضَيْتُ حَاجَتِي، أَوْ إِذَا أَوْقَفَ الْفَيْضَانَ، أَوْ إِذَا مَحَا الشَّرَّ وَالظُّلْمَ مِنَ الْكُونِ.. الخ، وَقَدْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ: إِذَا كَانَ هُنَالِكَ إِلَهٌ عَادِلٌ مَا أَصَابَنِي وَجَعٌ فِي أَسْنَانِي، وَمَعْنَى ذَلِكَ بِعِبَارَةٍ أُخْرَى: إِنِّي أَوْ مِنْ بَالِ اللَّهِ إِذَا بَنَى الْكُونِ، أَوْ عَدَّلَهُ تَبَعًا لِخَطَّتِي الْخَاصَّةِ الَّتِي تَقُومُ عَلَى الْإِنْسَانِيَّةِ، وَتَبَعًا لِصَالِحِي الشَّخْصِي " (١).

إِنَّ تِلْكَ الْعُقُولَ عَقُولَ مَقْفُصَةٍ فِي عَالَمٍ ضَيِّقٍ، مَحْتَاجَةٌ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ النُّضْجِ وَالتَّحَرُّرِ كَيْ تَتَفَكَّرَ بِشَكْلِ سَلِيمٍ، وَتَمَارَسَ إِنْسَانِيَّتَهَا مِمَّا رَسَتْ طَبِيعِيَّةً.

(١) كَمَا فِي كِتَابِ [اللَّهُ يَتَجَلَّى فِي عَصْرِ الْعِلْمِ] لِنَخْبَةِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَمْرِيكِيِّينَ (ص ١٥١ - ١٥٢) أَشْرَفَ عَلَيَّ تَحْرِيرُهُ: جُونُ كَلُوفَرِ مُونَسِيمَا - تَرْجُمَةُ: د. الدَّمْرِدَاشُ عَبْدِ الْمَجِيدِ سَرْحَانَ - رَاجِعُهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ: د. مُحَمَّدُ جَمَالُ الدِّينِ الْفَنْدِي - ط/ دَارُ الْقَلَمِ بَلْبَنَانَ].



لهذا؛ كان تصوراً خاطئاً بالغ الخطأ جعل الحياة الدنيا هي الغاية، بحيث يكون كل خير فيها مصدراً للسعادة الأبدية، وكل شر مصدراً للشقاء الأبدي، إن هذا فوق أنه تصور شخصاني فهو أناني، ويُفقد صاحبه التصور الصحيح للحياة الدنيا التي جعلها الله الخالق الحكيم وسيلة ومزرعة للأخرة دار القرار، إذ يجعله ينظر إلى الدنيا كما هي؛ بدلاً من أن ينظر إليها كما ينبغي أن تكون، ويُنسب في نفس الوقت أن الخير والشر نسبيان مع معاينته لذلك بنفسه، فما تراه خيراً قد يراه غيرك شراً، وكذلك الشر، فقد يكون شراً عندي وليس كذلك عند غيري. فمثلاً ترى قرارك بالزواج من فلانة خيراً، ولكن أباك بنظرة الثاقبة ومعرفة بمعادن الناس وخبرته بتصاريح الحياة يرى هذا الزواج غير مناسب لك، وسيؤول إلى شر لا تحمد عقباه، والأمثلة من واقع الحياة كثيرة جداً.

فإذا كان هذا في قانون البشر؛ فما الظن برب البشر الذي قال عن نفسه **جَلَّ وَعَلَا**:

**﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الأنعام: ١٠١)** أي عموم العلم، وإحاطته بكل ما يتعلق بالمخلوقات.

ومن نفى وجود الله فلينف وجود نفسه، بل الوجود كله ولا بُدَّ، إذ كيف يُتصوَّر وجود بدون مُوجِدٍ؟ هذا هو الجنون الذي ما بعده جنون، بل هو أشدُّ، لأنه طغيان غير مقبول ولا معقول، قال الله الخالق الحكيم **عَزَّجَلَّ** عن عقول هؤلاء: **﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحَلَّمُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ﴾ (الطور: ٣٢)**، فالعقول السليمة لا تأمر بهذا، ولا تدعو إليه، ولا يردُّ عليها هذا الوارد أبداً، لأن العقل يحكم بضرورة وجود مُوجِدٍ لهذا الوجود، وأنه متصف بالكمال المطلق ولا بُدَّ، وأن منه وإليه يرجع كل شيء، وهذا من المُسلِّمات العقلية البديهية التي لا تحتاج إلى نظر ولا استدلال، لأنها

صحيحة بذاتها، ويجدها كل إنسان في نفسه ضرورة، قال الإمام أبو محمد ابن حزم الأندلسي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: " ما كان مدرَكًا بأول العقل وبالحس؛ فليس عليه استدلال أصلاً" <sup>(١)</sup>، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ**: " إن كثيراً من العلوم تكون ضرورية فطرية، فإذا طلب المستدلُّ أن يستدل عليها خفيت ووقع فيها شك" <sup>(٢)</sup>

وَحَسْبُ الْإِنْسَانِ أَنْ يَعِي أَنَّهُ جَزْءٌ مِنْ كُلِّ، وهو هذا الكون الفسيح السائرة أجزاءه على نظام دقيق، وقانون مُطَرِّد، وهذا يوجب عليه أن يراعي منظومة الكل والانسجام معها، وأما جهله بخبايا وأسرار التقدير الإلهي فيها فلا يبيح له شطب خطوط مسيرة الكل، ورفض نظامها متى رآه لم ينسجم مع هواه، فَثَمَّ الشُّعُورُ بالشقاء، والوقوع في ضلالة الشر المأفوكة.

ألا يمارس بعض العلماء الملحدين في المعامل والمختبرات شراً كثيراً على فئران التجارب ليكشفوا عن حقيقة علمية، أو يبرهنوا على ظاهرة من الظواهر؟! فلم لا تعترض الفئران وتصيح وتقول: هذا شر؟

### فَمَنْ أَعْقَلَ؛ الْفئران أم علماء الفئران؟

إن الخير والشر أمران لا يعرف أحدهما إلا بمعرفة الآخر، وكم في الشر من خير؟! وما أعقل القائل حينما قال:

وَإِنْ كَانَتْ تُغَصِّصُنِي بِرَبِّي  
عَرَفْتُ بِهَا عَدُوِّي مِنْ صَدِيقِي

جَزَى اللهُ الشَّدَائِدَ كُلَّ خَيْرٍ  
وَمَا شُكْرِي لَهَا إِلَّا لِأَنِّي

(١) [الفصل في الملل والأهواء والنحل] ٥ / ٦٨ - مكتبة الخانجي بمصر.

(٢) [درء تعارض العقل والنقل] ٣ / ٣١٩ - مصدر سابق.

وهنا يظهر الكمال الإلهي، إيجاد الخير ونقيضه، ووجود أحدهما دون الآخر نقص واضح، وملل لا يطاق.

**والفروض العقلية بين وجود الخير والشر في العالم أربعة، نجملها في التالي:**

(١) عالم لا خير فيه ولا شر.

(٢) عالم فيه خير وشر.

(٣) عالم فيه خير محض.

(٤) عالم فيه شر محض.

والآن؛ أين ما يمكن أن يتقبله العقل البشري من هذه العوالم الأربعة؟

العالم الأول والثالث والرابع غير مقبولة، فالأول عدم، ولا يمكن تصويره في الذهن، أما الثالث الذي هو عالم الخير المحض فعالم يجعلنا مسلوبي الإرادة والاختيار والحرية، ميتي الضمير، ومثله العالم الرابع، وكلاهما نقص بيّن، وتصورهما أصعب جداً من عالم فيه خير وشر، ولم يبقَ إلا عالم الخير والشر، ففيه تكتمل الصورة، وقيمتها الوجودية مستساغة العيش، وهو الأوفق ببني آدم الذين ميزهم الله بالعقل، ومكّن لهم حرية الاختيار.

ولا ينسينا ونحن نخلص إلى هذا القول التأكيد على أن عالمنا الذي فيه خير

وشر؛ هو في الحقيقة أكثر خيراً من شره عكس ما يقوله الملاحظة المتشائمون.

## هل يمكن أن يوجد معنى حقيقي لشيء لا يوجد له ضد؟

إن الإنسان لن يعرف قيمة الصحة إلا إذا غَشِيَهُ المرض، ولا نعمة الأمن إلا إذا فقدها، ولا الشبع إلا إذا جاع، ولا الحلاوة إلا بالمرارة، ولا الغنى إلا إذا افتقر، ولا النجاح إلا بالفشل، ولا النظام إلا إذا انقلبت حياته إلى فوضى، ولا الخير إلا بالشر، وبالإيمان بالله سيريح الإنسان نفسه من عناء: لِمَ؟ وكيف؟ لأنه سيقول: لله في ذلك حِكْمٌ خفية، وغايات حميدة، ومصالح باطنة، والله الخالق الحكيم يقول: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٧٤)، وهي آية تشرح الصدر، وتطمئن القلب، وتريح النفس.

فَلْتَهْدَأْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، وقل في خشوع وخضوع: اللهم رَضِّنِي بقضائك، وبارك لي في قدرك.

قال الإمام ابن قَيِّم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: "فتبارك الذي من كمال حكمته وقدرته أن أخرج الأضداد من أضدادها، والأشياء من خلافها، فأخرج الحي من الميت والميت من الحي، والرطب من اليابس، واليابس من الرطب، فكذاك أنشأ اللذات من الآلام، والآلام من اللذات، فأعظم اللذات ثمرات الآلام ونتائجها، وأعظم الآلام ثمرات اللذات ونتائجها. وبعد؛ فاللذة والسرور والخير والنعم والعافية والمصلحة والرحمة في هذه الدار المملوءة بالمحن والبلاء أكثر من أضدادها بأضعاف مضاعفة" (١).

(١) [شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل] ص ٤١٤ - ط / دار الكتب

وقد روى ابن ماجه (٤٠٢٤) وصححه العلامة الألباني (١) عن أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: دخلتُ على النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهو يُوعَكُ، فوضعتُ يَدَيَّ عليه، فوجدتُ حَرَّهُ بين يَدَيَّ فوق اللحاف، فقلت: يا رسول الله! ما أشدها عليك! قال: **«إِنَّا كَذَلِكَ، يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ، وَيُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ»**. قلت: يا رسول الله! أي الناس أشد بلاء؟ قال: **«الْأَنْبِيَاءُ»**. قلت: يا رسول الله! ثم مَنْ؟ قال: **«ثُمَّ الصَّالِحُونَ، إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَبْتَلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ أَحَدَهُمْ إِلَّا الْعِبَاءَةَ يُحَوِّبُهَا، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ»**. وهو واضح في أن في الشر خيراً لا يدركه ولا يرضى به إلا أهل الإيمان.

كم في الكون من آيات منظورة؟ وكم في الحياة من أمثال مضروبة؟ فأين العقول التي تعيها؟ فالأمر كما قال العليم الحكيم سبحانه: **﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾** (العنكبوت: ٤٢)، فالكل يسمع ويرى، ولكن مَنْ الذي يعقل؟ إنهم العقلاء الحية قلوبهم، التي تبصر قبل الأعين، وتسمع قبل الأذان كما قال الله الخالق الحكيم **﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾** (الحج: ٤٦) فأئى قيمة لإنسان لا يعقل ولا يريد أن يعقل؟! وهل حيٌّ مَنْ مات قلبه؟! فكيف إذا تكبَّرَ فسَخِرَ واستهزأ؟

أندرون مَنْ العالم؟ إنه مَنْ عَقَلَ عن الله ما يريد، ومَنْ لم يعقل فليس بعالم، ولو دار اسمه بين عناوين الكتب وبحوث المؤتمرات، وحَصَلَ أعلى الشهادات، وتَبَوَّأَ

(١) [السلسلة الصحيحة] برقم ١٤٤ - مصدر سابق.]

المناصب الرفيعة، وفاز بالجوائز والصلوات، ففي الآخرة يقول أصحاب النار وهم فيها يعذبون: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ (الملك: ١٠-١١)، فتمنوا أن لو كان معهم عقل وسمع، ولم تُغن عنهم شهاداتهم وعلومهم من عذاب الله من شيء.

لقد كانت حياتهم، فلسفاتهم، نظرياتهم، أبحاثهم، كتبهم، مؤتمراتهم، محاضراتهم، ومناظراتهم ذنوباً اقترفوها باسم العلم والمعرفة، وكابروا وعاندوا لأجلها وماتوا على ذلك، ولكن سيعترفون بها هناك، وسيقرون بأنها ذنوب يستحقون بها عذاب السعير، وسُحِّقاً لأصحاب السعير.

وهذه الآية فرقت بين الذكاء والعقل، فليس كل ذكي عاقل، وكم في النار من أذكيا حصّلوا علوماً وشهاداتٍ ولكن فاتهم الفهم؟ نعم؛ كانوا أذكيا ولكن بلا زكاء فعاشوا في الوهم.

وليس بعجب أن يربط القرآن الكريم بين العقل والإيمان، فكل مؤمن عاقل، ولا بد أن يكون كل عاقل مؤمناً، فإن لم يؤمن فليس بعاقل، تأملوا قول الخالق الحكيم: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ (الزمر: ٩)، وقوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ (الزمر: ١٧-١٨)، وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾﴾ (الطلاق: ١٠).

ويقابله انتفاء العقل مع وجود الكفر الذي لا يهتدي أصحابه وإن كانوا أصحاب علوم ومعارف، فإذا انتفى العقل انتفى الإيمان، نعم؛ فلا إيمان لمن لا عقل له،

قال الله الخالق الحكيم مؤكداً هذه الحقيقة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمَّىٰ فَهَمُّ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ (البقرة : ١٧٠-١٧١) وقال أصدق القائلين سبحانه: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ (الفرقان : ٤٤) (١)، وقال جلّ أمره: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ (يونس : ١٠٠) قال العلامة ابن عاشور **رَحْمَةُ اللَّهِ:** " والمعنى: ويوقع الكفر على الذين لا يعقلون، والمراد نفي العقل المستقيم، أي الذين لا تهتدي عقولهم إلى إدراك الحق، ولا يستعملون عقولهم بالنظر في الأدلة " (٢)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ:** " فالرسل تبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم، وعليهم أن يبلغوا الناس البلاغ المبين، والمطلوب من الناس أن يعقلوا ما بلغه الرسل، والعقل يتضمن العلم والعمل، فمن عرف الخير والشر؛ فلم يتبع الخير ويحذر الشر لم يكن عاقلاً. ولهذا لا يُعَدُّ عاقلاً إلا مَنْ فعل ما ينفعه، واجتنب ما يضره " (٣)

فاعتبروا يا أولي الألباب .

(١) وانظر [(الاستدلال القرآني ضروري لدارسي المنطق) ص ٦١ - مصدر سابق].

(٢) [(التحرير والتنوير) ١١ / ٢٩٤ - ٢٩٥ - مصدر سابق].

(٣) [(مجموع الفتاوى) ١٥ / ١٠٨].

وقال ديكارت الفيلسوف: " ليس علم الملحد علماً حقاً، لأن المعرفة المشوبة بالشبهة؛ لا يحق لها أن تسمى علماً " (١).

إن مشكلة الشر التي أرهقت عقول الملحدين لها حل أسوة بكل مشكلة داخلية في صميم الوجود الإنساني، وحيث إن كل مشكلة لها منهج من البحث يناسبها؛ فستتتهي مشكلة الشر إذا عرف الملحدون جواب أسئلة الوجود الكبرى، وهي :

لماذا خلق الله هذه الحياة؟ ولماذا نحن فيها؟ من الذي أوجدنا دون إرادتنا؟ وكيف ومن أين جئنا؟ وإلى أين نصير؟ لماذا نموت؟ ولماذا لا يعود مَنْ يموت؟ وهل هناك حياة بعد الموت؟ وما مصير الناس بعدها؟

هذه الأسئلة لا غنى للإنسان أن يدرسها ويُمَحِّصَهَا لأنها داخلية في صميم وجوده، وإنا لنجد الناس يختلفون في قضايا كثيرة وتباين أقوالهم تبايناً كبيراً، منها ما هو فلسفي وعلمي وسياسي واجتماعي وغيرها، وهي بلا شك دون قضايا الوجود الكبرى التي لو ترك الجواب فيها للبشر لتباينت إجاباتهم كتلك بل أشد، ولعجزوا - بسبب ذلك - عن الوصول إلى الجواب الصحيح الذي يحدد غاية الحياة ولماذا خلقوا؟ فكان من المنطقي أن يتولى الله خالقهم بيان ذلك ببيانٍ شافٍ كافٍ، يتوافق مع خلقتهم والحياة التي أُوجِدُوا فيها.

وهنا يفترق المؤمن عن الملحد، فالمؤمن - وهو يعترف بجهله إزاءها والتطلع إلى حلها - يتلقى المعرفة والتوجيه فيها عن الله مُسَلِّماً به متبعاً له = الوحي.

(١) [موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين] ٢ / ١٣٠ ح ١ - مصدر



وأما الملحد - وهو يعترف بجهله إزاءها، والتطلع إلى حلها - فلا يقبل بهذا الوحي، ولا يرضى بتلقيه واتباعه، ويذهب ببتدع معرفة وتوجيها لها من غير طريق الله ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ (النجم: ٢٣) (١)

### فهاكم بيانها:

- (١) بَيَّنَّ اللهُ خَلْقَ الْكُونِ وَالْحَيَاةِ وَأَنَّهُ لِحِكْمَةٍ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنِ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ (الدخان: ٣٨-٣٩)
- (٢) وَبَيَّنَّ أَنَّ الْحَيَاةَ وَإِنْ طَالَتْ بِهَا الْأَمَادُ فَهِيَ لِأَجْلِ مَسْمُومٍ يَتَّهِى بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَقَالَ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الأحقاف: ٣).
- (٣) وَبَيَّنَّ أَسْلَافَ خَلْقِنَا مِنْ أَيِّ شَيْءٍ هُوَ؟ فَقَالَ: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾﴾ (السجدة: ٧)
- (٤) وَبَيَّنَّ كَيْفَ خَلَقْنَا بَعْدَ طُورِ الطِينِ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُثَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنَبِّينَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ (الحج: ٥) وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء: ١)

(١) انظر [الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية] ص ٣٣ - مصدر سابق.

(٥) وَبَيَّنَ بَلْفِظٍ صَرِيحٍ الْغَايَةَ مِنْ خَلْقِنَا، وَهُوَ الْقِيَامُ بِعِبَادَتِهِ سُبْحَانَهُ فَقَالَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ (الذاريات: ٥٦)

(٦) وَبَيَّنَ أَنْ وَجُودَنَا لَيْسَ صَدْفَةً تَلِدُ الْعَبْثَ فَقَالَ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَتَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴿المؤمنون: ١١٥-١١٦﴾، وَلَمْ نَوْجِدْ فِي الْحَيَاةِ لِنُتْرِكَ سُدْيً فَلَإِنْ نُؤْمَرُ وَلَا نُنْهَى فَقَالَ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدْيً﴾ ﴿٣٦﴾ (القيامة: ٣٦)

(٧) وَبَيَّنَ مَا الَّذِي يَرِيدُهُ مِنَّا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ؟ فَقَالَ: ﴿تَبْرَكَ الَّذِي فِي يَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ (الملك: ١-٢)

(٨) وَبَيَّنَ أَنْ وَجُودَنَا فِي الْحَيَاةِ مَعْرُضٌ لِلْإِبْتِلَاءِ فَقَالَ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٥٥﴾ (البقرة: ١٥٥)

(٩) وَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا الْإِبْتِلَاءَ عَامٌ فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ فَقَالَ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا...﴾ ﴿البقرة: ٢١٤﴾ وَقَالَ: ﴿الْم﴾ ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ ﴿٣﴾ (العنكبوت: ١-٣)

(١٠) وَبَيَّنَ أَنَّ الْإِبْتِلَاءَ يَكُونُ بِالْخَيْرِ وَبِالشَّرِّ أَيْضًا فَقَالَ: ﴿وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿الأنبياء: ٣٥﴾ فَلَا مَنَاصَ مِنْ وَجُودِ الشَّرِّ، وَالْغَايَةُ مِنْ وَجُودِهِ وَاضِحَةٌ، وَأَنَّهُ اخْتِبَارٌ لَا يُرَادُ لِدَاتِهِ بَلْ لِغَيْرِهِ، فَهَلْ وَعَيْتُمْ ذَلِكَ؟

(١١) وَبَيَّنَ أَنَّ الْمَوْتَ حَقِيقَةٌ حَتْمِيَّةٌ تَنْتَظِرُ كُلَّ مَخْلُوقٍ حَيٍّ فَقَالَ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾﴾ (الرحمن: ٢٦) وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨) وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ (العنكبوت: ٥٧)

(١٢) وَبَيَّنَ أَنَّ بَعْدَ الْمَوْتِ حَيَاةٌ سَيَقْضِيهَا الْإِنْسَانُ فِي بَرَزْخٍ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَبْلَ الْبَعْثِ وَالنَّشُورِ فَقَالَ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرَزْخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ (المؤمنون: ٩٩-١٠٠)

(١٣) وَبَيَّنَ أَنَّهُ سَيَحْيِي النَّاسَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَيُعِثُّهُمْ بَعْدَ انْقِضَاءِ مُدَدِ بَقَائِهِمْ فِيهَا فَقَالَ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧٠﴾﴾ (الحج: ٦-٧)، وقال: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴿٧٠﴾﴾ (التغابن: ٧)

(١٤) وَبَيَّنَ أَنَّهُ لَنْ يَغِيبَ عَنِ لِقَاءِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبَدًا فَقَالَ: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ (مريم: ٩٣-٩٥)

(١٥) وَبَيَّنَ أَنَّهُ سَيَحْسَابُهُمْ عَلَىٰ مَا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا فَقَالَ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢١﴾﴾ (الغاشية: ٢٥-٢٦) وقال: ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ لِنَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ (الكهف: ٤٧-٤٨)

١٦) وَبَيَّنَّ أَنْ كُلَّ مَا عَمَلُوهُ فَهُوَ مَسْجُلٌ عَلَيْهِمْ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كِتَابٌ فِيهِ كُلُّ مَا كَسَبَ مِنْ خَيْرٍ وَكَاتَسَبَ مِنْ شَرٍّ فِي الدُّنْيَا فَقَالَ: ﴿يَوْمَ نَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾ (ال عمران: ٣٠) ، وقال: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٣﴾﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ (الإسراء: ١٣-١٤)

١٧) وَبَيَّنَّ أَنَّ النَّاسَ بَعْدَ الْحِسَابِ سَيَنْقَسِمُونَ إِلَىٰ فَرِيقَيْنِ فَقَالَ: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ (الشورى: ٧) فَمَنْ آمَنَ وَأَحْسَنَ عَمَلَهُ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ يَتَنَعَمُ فِيهَا فِي حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (يونس: ٢٦). وَأَمَّا مَنْ كَفَرَ وَأَسَاءَ عَمَلَهُ أَدْخَلَهُ اللَّهُ نَارَ جَهَنَّمَ يُعَذِّبُ فِيهَا فِي حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرَهَّقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (يونس: ٢٧)

فاطمئنا أيها الملاحدة، هذه أجوبة أسئلة الوجود الكبرى، ولا تذهب بكم الظنون بَدَدًا، ولا تجيئوا كما يحلو لكم، فنحن وأنتم خلقنا لغاية، ولسنا هنا سدى، ولم نخلق عبثًا، يقول الخالق الحكيم **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنًى يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ (القيامة: ٢٦-٤٠).

تَرْجُو الْبَقَاءَ بِدَارٍ لَا ثَبَاتَ لَهَا      فَهَلْ سَمِعْتَ بِظِلٍّ غَيْرِ مُتَّقِلٍ  
قَدْ هَيَّئُوكَ لِأَمْرِ لَوْ فَطِنْتَ لَهُ      فَارْزُبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرَعَى مَعَ الْهَمَلِ

بقي أمر مهم في سؤال الشر كان ينبغي السؤال عنه قبل سؤال الشر نفسه، وهو:

ما سبب وجود الشر؟ ما الهدف من وجوده؟

التساؤل بهذا السؤال أمر غير مستغرب، ويكاد يكون مطبقاً بين البشر، ويعتلج في

نفوسهم كغيره من الأسئلة بحثاً عن الحقيقة، وأخصر عبارة للجواب على هذا السؤال:

لا تعب لا فوز ... لا ألم لا ربح ... لا محنة لا منحة ... لا شر لا خير

فَالضُّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَ الضُّدِّ      وَبِضِدِّهَا تَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ

ومِمَّا يجدر التذكير به في ختام جواب هذه الشبهة؛ أن هناك علاقة وثيقة بين

مسألة الشر هذه وما عاناه الناس قديماً في الغرب من تسلط الكنيسة الأوروبية التي

جعلت كلمة المسيح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** المفتراة عليه: " ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً "

سيفاً تستبيح به دَمَ كُلِّ مَنْ خالفها، حيث شرَّعت القتل بأنواعه عرقياً كان أو دينياً،

وما تبع ذلك من حروب دينية، وصراعات طائفية عقيمة، مارست الوحشية والعنف،

وكذا ما قام به رجال الدين الكنسي اللاهوتيون من تحريم العلم، وتجريم العلماء،

وحرق الكتب والبشر، وإقامة محاكم التفتيش، وتوزيع صكوك الغفران، وفرض

عقائد التثليث والفداء والصَّلْبِ، تناقض العقل والمنطق، وتصادم العلم والمعرفة،

وتصف الإله بالشر<sup>(١)</sup> تُسَبَّتْ على أنها كلمات الرب لشعبه ! وهو ما أثار حمية كثير

(١) انظر [مشكلة الشر ووجود الله] د. سامي عامري (ص ٨٨ - ٩١) ط / مركز تكوين

للدراسات والأبحاث بريطانيا] تحت عنوان: (التوراة أصل اعتراضات الفلاسفة الغربيين) فقد نقل

نصوصاً من توراتهم المحرّفة تصف الله بالظلم والشر، فتصور الأوروبيون خالق الكون شريراً

ظالماً يحب القتل وإسالة الدماء وسلب الأموال !! سبحانه وتعالى عما يقولون علواً عظيماً.

من متنوري أوروبا ومفكريها وعلمائها الذين رفضوا هذه الشرور والبلايا التي مورست باسم الدين والإله من هول ما رأوا من فظاعتها، وجنون عبثها، إلى أن تطور الأمر إلى إنكار الإله والدين المنسوبة إليه كل هذه الشرور !!! فالأمر يرتبط بالشخص الذي مارسه رجال الدين الكنسي باسم الإله، لا إلى وجود الله **عَزَّوَجَلَّ**، فتعالى الله عن إفك هؤلاء وافترائهم، ووجد أولئك وإلحادهم.

إن سوء ما آلت إليه شرائع كنائسهم المتشددة، وممارسات لا هُوتِيَّهَا الإجماعية لا يلزم المسلمين ودينهم البتة، لأن الإسلام بعقائده وتشريعاته يخالف تمام المخالفة موقفهم من الإله والدين والعلم، قال الوزير الفرنسي الأسبق المستشرق لويس سيديو في كتابه (خلاصة تاريخ العرب): " لم يشهد المجتمع الإسلامي ما شهدته أوروبا من تحجر العقل، وشل التفكير، وجذب الروح، ومحاربة العلم والعلماء، وإنزال أسمى العقوبات بالمفكرين، ويذكر التاريخ أن اثنين وثلاثين ألف عالم قد أحرقوا أحياء! ولا جدال في أن تاريخ الإسلام لم يعرف هذا الاضطهاد الشنيع لحرية الفكر والعلم الذي عرفته أوروبا. لقد كان المسلمون منفردين بالعلم في تلك العصور المظلمة، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة، ومنح مخالفه في العقيدة كل أسباب الحرية كما فعل الإسلام " (١).

وعليه؛ فالكنيسة هي المسؤولة عن جعل العلم بديلاً عن الدين وعدو له، وجعل الطبيعة بديلاً عن الله سبحانه.



(١) بواسطة كتاب [هكذا كانوا يوم كنا] د. حسّان شمسي باشا (ص ٨٣) ط/ دار المنارة بالسعودية [بتصرف].



# الوقف (٨)

نداء إلى كل من ملحد ومتأثر بالإلحاد







تعالوا... يا مَنْ وقعتم في ظلمات الإلحاد وضلالاته...

يا مَنْ تشعرون بالقلق والضنك وإن غالطتم أنفسكم بالراحة والسعادة

المتوهمتين...

يا مَنْ أَرْهَقْتُمْ الخيالات، وَأَتَعَبْتُمْ الظنونات...

يا مَنْ تجحدون في الظاهر؛ وفي الباطن يستقر إيمان تكتُمونه ظلماً وعلوًّا

وعنادًا...

يا مَنْ تكذبكم الفطرة؛ وإن زعمتم أنكم أصحاب النظر والفكرة...

تعالوا إلى النور...

تعالوا إلى جنة الدنيا لتدخلوا جنة الآخرة...

فمَنْ لم يدخل جنة الدنيا لن يدخل جنة الآخرة...

إنها جنة الإيمان بالله ومعرفته ومحبته... قال مالك بن دينار **رَحْمَةُ اللَّهِ**: " خرج

أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها، قيل: وما هو؟ قال: معرفة الله

تعالى " (١).

دَعُوْكُمْ من الشك... تعالوا ولا تخشوا سوء ما وقعتم فيه، فسيغفر الله لكم،

وستشعرون بذلك يوم تجدون سكينه الإيمان قد اطمأنت بها قلوبكم .

(١) كما في [سير أعلام النبلاء] للحافظ الذهبي (٥/ ٣٦٣) ت. شعيب الأرنؤوط - ط / مؤسسة

اقرؤوا بتأمل قول الخالق الحكيم: ﴿أَفَى اللَّهِ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (ابراهيم: ١٠)

ها هو الدليل بين أيديكم ما أكبره! وما أوضحه!

وتدبروا خطاب الله لكم: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٥).

أين عقولكم وفطركم ومشاعركم وأنتم تنظرون إلى الملكوت الأكبر، وإلى ما هو أقل منه من ذرات العالم الأصغر من الإبداع والإعجاز والإتقان والتوازن والتناسق والكمال والقدرة والعلم؟ ما هو مصدره؟ أين ضمائرهم؟ ماذا تنتظرون؟

آلموت؟! فقد اقترب أجلكم، وها هو يطوف فوق رؤوسكم!!!

ألا تخافون أن تلقوا الله وأنتم بالحدادكم معاندون؟ أفلا تؤمنون؟

ألا تحتاطون لأنفسكم قبل أن يفجأكم الموت؟ كما قال أحد العقلاء:

قَالَ الْمُنَجِّمُ وَالطَّيِّبُ كِلَاهُمَا لَا تُبْعَثُ الْأَمْوَاتُ قُلْتُ إِلَيْكُمَا  
إِنْ صَحَّ قَوْلُكُمَا فَلَسْتُ بِخَاسِرٍ أَوْ صَحَّ قَوْلِي فَالْخَسَارُ عَلَيْكُمَا

تعالوا قبل أن يقال لكم: ﴿الْيَوْمَ نَنسَخُ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوِكُمُ النَّارُ

وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾ (٣٤) ذَلِكَ بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَعَرَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَأَلْيَوْمَ

لَا يُجْرُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (الجاثية: ٢٤-٢٥)

لستم صدفة، ولم تُخلقوا عبثًا، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا

تَرْجَعُونَ﴾ (١١٥) فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (١١٦)

(المؤمنون: ١١٥-١١٦).

**يا هؤلاء.....**

مصيرنا جميعاً إلى الله، وسيقف الجميع للحساب في يوم لا يظلم الله فيه مثقال ذرة .

إنه رجوع لا مفر منه، إنه يوم التصفية الكبرى للماضي جميعه بكل ما فيه، والقضاء الأخير في الماضي بين كل مَنْ فيه، يقول الله مالك ذلك اليوم: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٨١).

**يا شباب الإلحاد وفتيات...**

ما الذي وجدتموه في الإلحاد؟

فليس للإلحاد أسباب عقلية...

ولا دلائل منطقية...

ولا براهين علمية...

ولا يدعو إلى جمال، ولا كمال، ولا اعتدال...

بل شذوذ في الرأي، وسقوط في النفس، وقبح في الفعل...

**الإلحاد:** صوتٌ نشازٌ قبيحٌ مُغرٍ أتى من الخارج يصارع صوت الفطرة الساكن

في النفس والوجدان.

**الإلحاد:** بداية تبحث عن الدليل، ونهاية تعاند الحق الجميل، وتناقض العلم

الأصيل، وتتكلف الوهم كبديل...

**الإلحاد:** يبدأ بمفكر حُرٍّ، وينتهي بحائرٍ قلق الفكر، مهتز الضمير، مضطرب الذهن، ضنك العيش، إذا خلا بنفسه استولى عليه خوف قاتل، لا يهرب منه إلا بالبحث عن أفضل طريقة للانتحار.

**الإلحاد وقت الأمان:** إعلان بالكفر، ودعوى عريضة تملأ الأرجاء بالتحدي والسبِّ والسخرية، فإذا جاء الخوف؛ رجفت القلوب، فظَهَرَ الإيمان، وتضرعت الألسن بإخلاص الدعاء: ليساعدنا الرب، نَجِّنَا يَا اللَّهُ !!!

**أمر الإلحاد:** إعجاب زائف بالعقل، ومحاولة للتخلص من التكاليف...

**وأمر الإيمان:** إعمال للعقل بأن لكل مغزل غازلاً، ولكل فعل فاعلاً، ولكل نظام حاكماً، وللحياة غاية، وكُلُّ الخلق فيألي الخالق القدير سبحانه: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَى يَكُونُ لَهُ وَاَلَّذِى وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٦﴾ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١١٢﴾﴾ (الأنعام: ١٠١-١٠٢).

**يا مَنْ تَأْتَرْتُمْ بِالْإِلْحَادِ:**

نحن لا نقول لكم:

لا تتعلموا... لا تفكروا... لا تفهموا

إنما نقول لكم: تعلموا، وفكروا، وافهموا... لكن لا تخرجوا عن العلم والفكر والفهم كما هي موجودة في العقل والنفس والواقع... ولن نقبل منكم خرافة تتدثر بالعلم، وخيالاً يدَّعي الفكر، ووهماً يزعم أنه أصاب الفهم.

وتعالوا إلى القرآن حيث الحجج القوية، والاستدلالات المنطقية، والأقيسة العقلية، والأمثال الواقعية... ثم الإذعان وإعلان الإيمان.

### أيها الملحدون واللاأدريون والربوبيون والمتشككون:

" إن قبول الحق ليس مرتبطاً بقوة الحجة، ولا وضوح المحجة، ولكنه مرتبط بالصدق في طلب الحقيقة والحرص عليها. ولهذا؛ فإن الحديث عن الحقائق لمن لا يصدق في طلبها جهد ضائع " (١).

اسمعوا الله الخالق الحكيم وهو يقول لكم: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ (الزمر: ٧).

ويقول جلّ وعزّ: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ (يونس: ١٠١) ويقول في سورة النور وقوله الحق: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ ﴿٥٠﴾﴾ (النور: ٤٠)

فارجعوا إلى الله قبل أن تخسروه...

وعودوا إلى أصلكم قبل أن تفقدوه...

لا تهربوا من الله بعصيانه والتمرد على شرعه وقدره لئلا تسلموا فتعاندوه بجهلكم وتجاهلوه.

(١) من خطبة جمعة للشيخ د. صالح بن حميد حول (حقيقة الإلحاد وشؤمه) من على منبر

ارجعوا إلى صوت الفطرة المودعة فيكم من الميلاد، واعفوا أنفسكم من عناء المصطلحات العمياء والجدل المعتوه...

وبعقولكم - لا بعقول الآخرين - فكِّروا في أنفسكم، وانظروا ما حولكم وتأملوه...

واعتبروا بمن مضى كيف كان؟ وإلى ماذا صار؟ ويوشك أن تلحقوه...

وانظروا ما أنتم فاعلوه؟ فإنكم مجزيون به وملاقوه...

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۗ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ ﴿٧﴾  
وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ ﴿٨﴾﴾ (الزلزلة: ٦-٨).

وسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ربنا إننا آمنة فاغفر لنا ذنوبنا وكفرنا عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد.

اللهم ربنا زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، ولا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وكتبه الفقير إلى الله تعالى:

أَسَامَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قَاسِمٍ الْكَلْبِيِّ الْيَمِينِيِّ

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

أواخر صفر ١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٣ م

## الفهرس التفصلي

- إضاءات بين يدي الوقفات ..... ص ٣
- المقدمة ..... ص ٥
- بيان موضوع الكتاب بذكر الوقفات الثمان ..... ص ٦
- الوقفة ١ : دواعي الحديث عن الإلحاد وأهله** ..... ص ٧-١٠
- ذكر (٧) أسباب من دواعي الحديث عن الإلحاد وأهله ..... ص ٩-١٠
- الوقفة ٢ : ما هو الإلحاد؟** ..... ص ١٣-١٩
- معناه في اللغة ..... ص ١٣
- هل الملاحدة يدخلون في جميع المعاني اللغوية المذكورة؟ ..... ص ١٤
- معناه في اصطلاح الشرع ..... ص ١٤
- أنواعه ..... ص ١٤-١٥
- خلاصة تعريف الملحد في الشرع ..... ص ١٦
- جملة من أنواع الإلحادات في اصطلاح الشرع ..... ص ١٦-١٧
- معناه في الاصطلاح العصري ..... ص ١٧
- ارتباط المعاني الثلاثة بحقيقة الإلحاد ..... ص ١٧
- من هم ملاحدة الجاهلية؟ ..... ص ١٨
- الإلحاد السمة البارزة لحضارة الغرب اليوم ..... ص ١٨
- ركيزتا الإلحاد الغربي ..... ص ١٨-١٩
- الغرب الملحد مجتمع بلا بوصلة ..... ص ١٩
- الوقفة ٣ : ما هي أسباب الإلحاد؟** ..... ص ٢١-٢٨
- عَوْدُ أسباب الإلحاد في الجملة إلى نوعين : شهوات وشبهات ..... ص ٢٣

- ترجع أسباب الإلحاد بسبب الشبهات إلى ٦ أنواع ..... ص ٢٣
- ذكر (١٦) سبباً للإلحاد بسبب الشبهات ..... ص ٢٣ - ٢٨
- ذكر سبب الإلحاد بالشهوات ..... ص ٢٨
- أصناف الواقعيين في الإلحاد ..... ص ٢٨
- الوقفه ٤ : مَنْ يَقِفُ وِراءَ الإلحاد؟** ..... ص ٢٩ - ٢٨
- أنشطة الحياة العصرية تتحرك بدافع إلحادي ..... ص ٣١
- البشرية تعيش اليوم أسوأ حالاتها وأمثلة على ذلك ..... ص ٣١
- اليهود الجنس البشري المتمرد وعلاقتهم بالفساد ..... ص ٣١
- من وسائل وصور إفساد اليهود للبشرية ..... ص ٣١
- سبب إفساد اليهود للبشرية ..... ص ٣١
- الشيوعية والعلمانية وسيلتان لترويج الإلحاد ، وهما من إنتاج اليهود ..... ص ٣٢
- الماسونية ذراع اليهود الخفي ومسؤوليتها عن نشر الإلحاد في العالم ..... ص ٣٢
- بروتوكول حكماء بني صهيون الرابع ينص على نسف الدين من أذهان الغويم .... ص ٣٢
- شخصيات يهودية مشهورة أسست للإلحاد في العالم عبر مبادئ ونظريات تبنتها ودعت إليها ..... ص ٣٣
- بروتوكول حكماء بني صهيون الثاني يذكر أن نجاح دارون وماركس ونيتشه كان بترتيب من اليهود ..... ص ٣٣
- باروخ سبينوزا وهنري برجسون وجان بول سارتر رموز يهودية إلحادية ..... ص ٣٣ - ٣٤
- شاعر يهودي يدعو في شعره إلى الإلحاد وتكرمه دولته اللقيطة ..... ص ٣٤
- غرض اليهود من تحطيم كل عقائد الإيمان هو إثمار ملحدين في العالم ..... ص ٣٤
- ما الهدف من صبغ العالم بالإلحاد ؟ ..... ص ٣٥



- آية سورة المائدة رقم (٦٤) الدالة على سعي اليهود لإفساد العالم ..... ص ٣٥
- إعرابان لقوله تعالى: ﴿فَسَادًا﴾ ..... ص ٣٥
- موقف اليهود العنصري من البشر ، نص يوضح ذلك من كتابهم التلمود ..... ص ٣٦
- الملاحدة يتتقدون الإسلام أكثر من غيره ..... ص ٣٦
- من الذي دفع الثورة الفرنسية للصدام مع الكنيسة ؟ ..... ص ٣٧
- مبادئ إلحاد اليهود الثلاثة ( الدين والعلم والفطرة ) ..... ص ٣٧
- كلمة جامعة للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني عن مسؤولية اليهود عن كل مكر وفساد في العالم ..... ص ٣٨
- الوقفه ٥ : الإلحاد مخاطر سوء وآثار فساد** ..... ص ٣٩ - ٤٩
- ١- غياب تفسير منطقي وإع للحياة والوجود ..... ص ٤١
- قصيدة الطلاسم وعلاقتها بالإلحاد ..... ص ٤١ - ٤٢
- ٢- الإلحاد يقطع على صاحبه طريق الآخرة فلا جنة ولا نار وما يسبق ذلك ويترتب عليه ..... ص ٤٣
- ما نتيجة اجتماع الهوى مع الشبهة ؟ كلمة لابن قيم الجوزية في هذا ..... ص ٤٣
- ما أثر نظرية اليهودي الملحد فرويد الداعية إلى تفسير ظواهر الإنسان المختلفة بالدافع الجنسي على البشرية ؟ ..... ص ٤٣
- ٣- تفشي ظاهرة الانتحار في أوساط الملاحدة ..... ص ٤٣
- لماذا الملاحدة أكثر الناس انتحاراً ؟ ..... ص ٤٣
- ما الذي يسبق الانتحار عند الملاحدة ؟ ..... ص ٤٤
- ٤- تسلط الأعداء وسقوط الدول وإيقاد الحروب وشيوع القتل ..... ص ٤٤ - ٤٥
- أمثلة لتسلط دول على دول بسبب الإلحاد ضمن أسباب أخرى ..... ص ٤٥

- ربط هذا السبب بواقع أمتنا الدليل ..... ص ٤٦
- ٥- إهدار حقوق الفرد والمجتمع ، وتفكيك الروابط الاجتماعية والأسرية في المجتمع ..... ص ٤٦
- ٦- إفساد الفطرة الإنسانية ومسحها وقودها إلى أسفل وأضل من البهيمية الحيوانية . ص ٤٦
- ٧- وجود النزعة الفردية الأنانية عند الملاحظة ..... ص ٤٦
- مبدأ البقاء للأقوى اعتمد على نظرية دارون اليهودي الملحد في البقاء للأصلح .... ص ٤٧
- هتلر وموسوليني وستالين ولينين وماوتسي تونغ وبول بوت وحكومات الغرب الملحدة اليوم أمثلة إحدادية صنعت أسلحة الدمار الشامل وقادت البشرية إلى حروب عالمية في الشرق والغرب ..... ص ٤٧
- ٣ اقتباسات غربية تؤكد تأثر الزعماء المذكورين بنظرية دارون وفلسفة نيتشه .. ص ٤٧ - ٤٨
- ماذا قال زعيم النازية هتلر ؟ ..... ص ٤٨
- أكثر الشرور والمظالم انتشاراً وأوسعها ميداناً تقف وراءها مناهج إحدادية ... ص ٤٨ - ٤٩
- الإرهاب تطرف وجريمة ، وكذلك الإلحاد ..... ص ٤٩
- لماذا تهتم الدول والحكومات بمحاربة الإرهاب ولا تفعل ذلك مع الإلحاد ؟ ..... ص ٤٩
- قف على ما أحدثه الإلحاد بمبادئه ونظرياته على كوكبنا الجميل ..... ص ٤٩
- الوقفه ٦ : كيف نعالج الإلحاد ونواجهه ؟** ..... ص ٥١ - ٦٠
- تفسير الإمام ابن الوزير اليماني لإنزال الله الكتاب بالحق والميزان ..... ص ٥٣
- اتجاهان رئيسيان لمعالجة الإلحاد ..... ص ٥٣
- ذكر ( ٨ ) طرق ووسائل معالجة الإلحاد ومواجهته ..... ص ٥٤ - ٥٧
- يحكم على كل حالة إلحاد بما يناسبها لاختلاف أسباب الوقوع في الإلحاد نشأة وبيئة وحالة نفسية ..... ص ٥٦

- لا يجوز السكوت على فوضى الملاحدة وهم ينشرون إلحادهم في المجتمع ..... ص ٥٦
- نص القرار الرابع للمجمع الفقهي الإسلامي في دورته الحادية والعشرين لعام ١٤٣٤هـ  
حول تنامي ظاهرة الإلحاد ..... ص ٥٧
- لا يوجد حرية مطلقة في أي مكان في العالم ..... ص ٥٨
- ما الذي يتوجب فعله لمن وقع في حمأة الإلحاد؟ ذكر ٨ أمور لتحقيق ذلك ... ص ٥٨ - ٦٠
- الوقفة ٧: شبهتان والجواب عليهما** ..... ص ٦١ - ١٤٢
- الشبهة الأولى:** قالوا: ما لا يرى لا وجود له، والله لا يرى، إذ الله غير موجود!... ص ٦٤
- برهان الوجود لا يحتاج إلى وجود برهان لأن الوجود برهانه ..... ص ٦٤
- القول بنفي وجود الله لا يُعرف عن أحد من البشر إلا شذمة قليلة من الدهرية ونقل مقالة  
الإمام أبي الفتح الشهرستاني في ذلك ..... ص ٦٤
- قاعدة: ليس كل ما لا يُرى فهو غير موجود ..... ص ٦٥
- أمثلة لأشياء لا تُرى وهي موجودة في حياتنا وتعامل بها ..... ص ٦٥ - ٦٧
- الغيب إما أن يكون موجوداً وإما أن يكون عدماً ومثالان لكل منهما ..... ص ٦٧
- طريق المعرفة لا ينحصر بالتجربة الحسية ..... ص ٦٧
- الإلحاد على الأسس العلمية غير قابل للتحمل، هذا ما قاله عالم الأحياء البريطاني  
هكسلي ..... ص ٦٧
- آية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) وتعليق شيخ الإسلام ابن تيمية  
عليها ..... ص ٦٨
- العقل البشري له حدٌ ينتهي إليه لا يستطيع تجاوزه كالبصر تماماً نقل عن الإمام الشافعي  
في ذلك ..... ص ٦٩
- أسئلة تفكيكية لشبهة نفي وجود الله وعلاقتها بما عليه كل ملحد ..... ص ٦٩ - ٧٠

- الملاحظة يتناقضون مع قاعدتهم : (لا يوجد حقيقة مطلقة)..... ص ٦٩
- الأعرابي صاحب البعير أعقل وأعلم من كل علماء الإلحاد ومفكره ..... ص ٧٠
- ( الأثر يدل على المؤثر ) ليس من عمل العين بل من عمل العقل ..... ص ٧٠
- آيات شعرية بعنوان : رأيتك ربي في كل شيء ..... ص ٧٠
- إسحاق نيوتن عالم الفيزياء الشهير يتابع الأعرابي صاحب البعير في استنتاجه ..... ص ٧١
- إحدى ضروريات العقل : ما من حادث إلا وله مُحدث ..... ص ٧١
- آيات قرآنية محكمة تخاطب الإنسان فيما يراه من حوله ويعيشه ليستنتج أن لها خالقاً مبدعاً ..... ص ٧١ - ٧٢
- مَنْ هم أصحاب جهنم ؟ ..... ص ٧٣
- الإيمان كما يكون بالفطرة يكون أيضاً بالتجربة ..... ص ٧٣
- (العمى عمى القلوب لا عمى الأبصار) الحقيقة التي أضاعها الملاحظة ..... ص ٧٤
- الرسول عليهم السلام يسألون أقوامهم المنكرين سؤالاً يحرك عقولهم ويحييها من موتها ..... ص ٧٤
- هل قضى العلم التجريبي على كل طريق للمعرفة سواه ؟ ..... ص ٧٤ - ٧٥
- تناقض التجريبيين عندما قالوا: (لا سبيل إلى معرفة أي شيء إلا بالتجربة والمشاهدة) ..... ص ٧٥
- القبلة يصنعها العلم التجريبي لكن لا يخبرنا عن ماذا نصنع بها ؟ ..... ص ٧٥
- ليس بالعلم وحده يحيا الإنسان ..... ص ٧٥
- قصة طريفة بين أستاذ ملحد وطالب عاقل ..... ص ٧٦
- استطرد يناقش الملاحظة في منعهم الاستدلال بآيات القرآن الكريم أثناء حوارات ومجادلات المؤمنين لهم ..... ص ٧٦ - ٩٠

- القرآن الكريم مليء بالآيات الدالات على مخاطبة العقل واستثارته للتفكر والتدبر في مخلوقات الله وآياته الكونية ..... ص ٧٦
- الإنسان نفسه دليل على الخالق الجليل ..... ص ٧٧
- دلالتان واضحتان لقوله تعالى: ﴿سَرُّهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ ..... ص ٧٧ - ٧٨
- حقيقة ألوهية الله تتجلى أكثر كلما تقدم العلم وكشف عن سر من أسرار الكون .... ص ٧٨
- العقول المفتوحة والعقول المغلقة ..... ص ٧٨
- خلاف الناس في الله هو خلاف إيمان وكفر لا خلاف وجود وعدم ..... ص ٧٩
- " وجدت في القرآن الإجابة على جميع تساؤلاتي " قالها أحد الملاحدة العرب بعدما تاب من الإلحاد ..... ص ٧٩
- جيفري لانج بروفيسور وأستاذ الرياضيات الأمريكي وقصة اهتدائه بالقرآن ... ص ٧٩ - ٨٠
- الإيمان بين جبير بن مطعم وآية الطور التي تخاطب كل ملحد ..... ص ٨٠
- النصارى وتأثير القرآن الكريم عليهم ..... ص ٨٠ - ٨١
- بجلسة واحدة حوّل القرآن الجنّ من عتاة متمردين إلى دعاة مؤمنين ..... ص ٨١
- شعر : بالقرآن أنرت طريقي يا الله ..... ص ٨٢
- في القرآن شفاء لما في صدور الناس كلهم من شبهات وشكوك وأمراض أياً كان نوعها وخطرهما ..... ص ٨٢
- الملحد يستحق أن يعرف الحقيقة كغيره من الناس ..... ص ٨٣
- المنطق السليم والنظر الصحيح يقضيان بالبحث عن الحقيقة أياً كان مصدرها وقائلها ..... ص ٨٣
- لا تضاد بين القرآن والعقل لأن منزل القرآن وخالق العقل واحد ..... ص ٨٣

- مَنْ هُوَ الْعَالَمُ النَّزِيهِ فِي نَظَرِ أَرْنِسْتِ رُوْتِرْ فُورْدِ أَبِي الْفِيْزِيَاءِ النَّوَوِيَّةِ ؟ ..... ص ٨٤
- الْقُرْآنُ يَدْعُو إِلَى الْعِلْمِ وَقَوَائِينِهِ ..... ص ٨٤ - ٨٥
- وَصَدَقَ اللهُ وَكَذَّبَ دَارُوِيْنَ ! ..... ص ٨٥
- مَنْ رَدَّ حَقَائِقَ الْقُرْآنِ لَمْ يَبْقَ مَعَهُ عَقْلٌ وَلَا شَرْعٌ ..... ص ٨٦
- مَا هِيَ مِغَالِطَةُ الْمُنْشَأِ وَعِلَاقَتُهَا بِخَوْفِ الْمَلَاحِدَةِ مِنَ الْقُرْآنِ ؟ ..... ص ٨٦
- مِنْ رَحْمَةِ اللهِ أَنَّهُ لَنْ يَتْرَكَ الْمَلَاحِدَةَ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ طَرِيقَ الْهُدَايَةِ وَسَبِيلَ الْغَوَايَةِ ص ٨٦ - ٨٧
- إِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَى الْمَلَاحِدَةِ بِتَلَاوَةِ آيَاتِ اللهِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَتَذْكَيرِهِمْ بِذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ ..... ص ٨٧ - ٨٨
- ذِكْرُ آيَةِ قُرْآنِيَّةٍ تَبَيِّنُ الْغَرَضَ مِنْ أَنْزَالِ الْقُرْآنِ وَبَعَثِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..... ص ٨٩
- الاسْتِدْلَالُ الْقُرْآنِيُّ يَعْتَمِدُ عَلَى الْوَحْيِ ، وَعَلَى الْعَقْلِ ، وَعَلَى الْوَجْدَانِ وَالْقَلْبِ وَالْعَاطِفَةِ ، وَعَلَى الْحَسِّ الْمَشَاهِدِ وَمَنْ أَصْحَابُهَا ؟ ..... ص ٨٩
- خِيَارَانٌ لِلْمَلْحَدِ إِمَّا الْبَقَاءُ مَعَ الْإِجْمَاعِ الْكُونِيِّ أَوْ الشَّدُوذُ الْجَنُونِيُّ ..... ص ٨٩
- اِنْتِقَالُ الْمَلْحَدِ بَعْدَ قَبُولِهِ بِوُجُودِ اللهِ إِلَى سُؤَالِ تَشْكِيكِيٍّ : مَنْ خَلَقَ اللهُ ؟ ..... ص ٩٠
- الْجَوَابُ عَلَيْهِ ..... ص ٩٠
- هَذَا السُّؤَالُ اللَّامِنْتَقِي يَنْسِفُ قَانُونَ نَفْيِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْمُتَنَاقِضَاتِ ..... ص ٩١
- مَا هِيَ فَرْضِيَّةُ اللَّاتِنَاهِي ؟ ..... ص ٩١
- طُرْفَةٌ مَنْ طَبَخَ الطَّبَّاحُ ؟ ..... ص ٩١
- عِبَارَةٌ رَشِيْقَةٌ بَلِيْغَةٌ لِلْإِمَامِ أَبِي الْمَعَالِي الْجُوِيْنِيِّ فِي اسْتِحَالَةِ التَّسْلِسِ ..... ص ٩٢
- سُّؤَالٌ : مَنْ خَلَقَ اللهُ ؟ يَرْتَكِبُ مَحَالِيْنَ عَقْلِيَيْنِ ..... ص ٩٢ - ٩٣
- قَانُونَ السَّبَبِيَّةِ وَنَسْفُ الْمَلْحَدِ لَهُ بِسَبَبِ مُخَالَفَتِهِ لِقَوَائِنِ الْعَقْلِ ..... ص ٩٣

- الملاحدة إما خالقون لأنفسهم وإما خُلِقوا من غير شيء وكلاهما محال ، فلم يبق إلا  
الخيار الثالث وهو أن الله خَلَقَهُمْ ..... ص ٩٣
- تعرف على ( أغلوطة الفئة ) ..... ص ٩٤
- وثنية الملاحدة تكمن في تأليههم للمادة وقوانينها ..... ص ٩٥
- آية قرآنية تكشف سبب إنكار الملاحدة للرب سبحانه ..... ص ٩٥
- اعتراف لأحد مشاهير الإلحاد النوبليين بذلك ..... ص ٩٥
- مقابلة سؤال الملاحدة : مَنْ خلق الله ؟ بسؤال : مَنْ صَدَفَ الصدفة ؟ ..... ص ٩٦
- إجماع الملاحدة على عجزهم الاتيانَ بدليل واحد وفق القانون الرياضي أو المنطقي يثبت  
وجود الكون صدفة ..... ص ٩٧
- الملحد بين فطرته المخبوءة وأوهامه اللامعقولة ..... ص ٩٧
- عالم الطبيعة الأمريكي جورج إيرل ديفيس يدحض بالعقل فكرة وجود الكون  
صدفة ..... ص ٩٧ - ٩٨
- كتاب ( الله العلم والبراهين ) ونبذة عنه ..... ص ٩٨
- ماذا يقول العلماء الملحدون في لحظات الصدق مع أنفسهم ؟ ..... ص ٩٩
- حوار عقلي دامغ بين مؤمن وملحد حول عشوائية الكون ..... ص ١٠٠
- الملاحدة يفسرون غير المفهوم بغير المفهوم !! ..... ص ١٠١
- سؤال : مَنْ خلق الله ؟ من وساوس الشيطان التي يلقيها في نفس الإنسان وكيف عالج  
الشارع ذلك ؟ ..... ص ١٠١ - ١٠٢
- الشبهة الثانية:** لماذا الشر موجود والإله يتصف بالرحمة والعدل ومطلق القدرة ؟ ..... ص ١٠٣
- زعزعة هذه الشبهة بمثال الأب مع أبنائه ..... ص ١٠٤

- إذا كان وجود الشر يعني أن لا إله !! فماذا يعني وجود الخير وهو الأكثر في الأرض؟ ..... ص ١٠٤
- الملاحظة لا يشعرون أنهم مؤمنون بالله عندما يلوِّحون بمعضلة الشر أمام المؤمنين ص ١٠٤
- تفسير آيتين كريميتين تذكران الخير والشر كمبدئين ثابتين في ذهن الإنسان ووجدانه ..... ص ١٠٤ - ١٠٥
- الحكم على أمر ما أنه ظلم وشر مسبق بمعرفة العدل والخير قبلهما ، وقول الكاتب والمذيع الشهير الملحد سي. إس لويس في ذلك ..... ص ١٠٥
- لو كان الإلحاد صحيحاً لما أُلحد أحد ..... ص ١٠٥
- الميثاق الأكبر الأزلي الذي واثق الله به البشر قبل خروجهم إلى الحياة ..... ص ١٠٥ - ١٠٦
- لِمَ يجد كل إنسان في نفسه قضية الإيمان بالله ضرورة ..... ص ١٠٦
- قاعدة ( عدم الإدراك لا يدل على عدم الوجود ) ..... ص ١٠٧
- الروح كمثل لها ..... ص ١٠٧ - ١٠٨
- موقف المؤمن من الله كموقف التلميذ مع أستاذه ..... ص ١٠٨
- حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في صحيح مسلم وعلاقته بالميثاق الأزلي ..... ص ١٠٩
- الشیطان وعداوته لبني آدم وتوليه صرفهم عن الفطرة التي فطرهم الله عليها .. ص ١٠٩ - ١١٠
- حديث قدسي يدل على أسبقية الإيمان على الكفر عند بني آدم ..... ص ١١٠
- الملاحظة بنفسيهم وجود الله بسبب وجود الشر لا يحلون مشكلة الشر ولا يفككونها .. ص ١١١
- حقيقة شبيهة سؤال الشر وسبب تبنيها عند الملاحظة ..... ص ١١٢
- عندما يصير الهوى إلهاً يعبد من دون الله ..... ص ١١٢
- الشر والسؤال الأخلاقي ..... ص ١١٣
- المعادلة المعقولة المقبولة: وجود الشر يساوي وجود الله ..... ص ١١٣



- معضلة الشرهي معضلة على الملاحدة ، كيف ؟ ..... ص ١١٤
- ويستمر التناقض بالملاحدة ..... ص ١١٤
- لا يُسأل الله عن أفعاله ، لماذا؟ جواب لشيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك ..... ص ١١٥
- نفي الملاحدة للقانون الأخلاقي شر آخر ..... ص ١١٥
- ماذا أنبت رجس قاعدة الملاحدة المشهورة: (إذا لم يكن الله موجوداً فكل شيء مباح) ..... ص ١١٦
- عندما تحرر الملاحدة من قانون الأخلاق ماذا حصل لهم؟ اعتراف مؤلم لرئيس الرابطة الأمريكية لعلم النفس ..... ص ١١٦
- جون لوك فيلسوف بريطانيا لا يتسامح مع الملاحدة ويقول بأن إنكار الله - ولو بالفكر - يفكك جميع الأشياء ..... ص ١١٧
- وماذا قال فولتير فرنسا التنويري عن الله؟ (٣) نُقُولُ عنه ..... ص ١١٧ - ١١٨
- وجود الإنسان بدين ولو خرافة؛ خير من بقاءه ملحدًا بلا دين ..... ص ١١٨
- وجود الشر وعلاقته بالقانون العقلي (عدم العلم لا يدل على عدم الوجود) ..... ص ١١٩
- ما من شر إلا فيه خير ونَقَلَ عن الإمام أبي حامد الغزالي ..... ص ١١٩
- الشرور التي صنعها الملاحدة في العالم ..... ص ١٢٠
- الموقف الصحيح من الشرور المقدره ، كلام نفيس لابن قيم الجوزية ..... ص ١٢١
- ولابن الجوزي كلام مثله ..... ص ١٢٢
- وجود الشر يدخل ضمن الإرادة الحرة التي أعطاها الله للإنسان فلا سلب ولا جبر ..... ص ١٢٢ - ١٢٣
- ما الذي تفعله شركة سيارات عالمية في هذا الصدد؟ ..... ص ١٢٣

- ما هو كتالوج الإنسان في الحياة ؟ ..... ص ١٢٤
- الملاحظة يبرؤون وقوعهم في الشرور والآثام بمسؤولية الله عنها ..... ص ١٢٤
- برتراند رسل أحد أعمدة الإلحاد يثبت أن سبب رفضه لفكرة وجود الله هو ضعف الشعور الديني عنده لا وجود الشر ..... ص ١٢٤
- كِبْرُ الملحدين قادم إلى أمور كشفها القرآن فيهم ..... ص ١٢٥
- لا قدرة للإنسان على فهم أقدار الله بأسبابها وجميع تفاصيلها ..... ص ١٢٦
- موقف العقل القاصر أمام أدلة الشرع الكامل ..... ص ١٢٦
- قصة موسى مع الخضر عليهما السلام مثال للشر المخبوء بالخير ..... ص ١٢٧
- ثلاثة محاور مركزية تدور عليها فصول قصة موسى مع الخضر عليهما السلام .... ص ١٢٧
- خلاصة الخلاصة ..... ص ١٢٧
- الشر والخير في ضرورة تقابلهما كالعملة المعدنية في تقابل وجهيها ..... ص ١٢٨
- الخير والشر نسيان في الدنيا ..... ص ١٢٩
- هناك علوم ضرورية وعقلية وفطرية لا تحتاج إلى استدلال ونقلان موثقان لابن حزم وابن تيمية ..... ص ١٣٠
- الشر الذي يمارسه العلماء الملحدون على الفئران في المعامل والمختبرات ..... ص ١٣٠
- الكمال الإلهي في إيجاد الخير وضده ..... ص ١٣١
- الفروض العقلية الأربعة بين وجود الخير والشر في العالم ..... ص ١٣١
- هل يمكن أن يوجد معنى حقيقي لشيء لا يوجد له ضد ؟ ..... ص ١٣٢
- الأنبياء أشد الناس بلاءً وهم أكثر الناس أجراً وحديث ابن ماجه في ذلك ..... ص ١٣٣
- أتدرون من العالم ؟ ..... ص ١٣٣
- كم في النار من أذكياهم لكنهم ليسوا بعقلاء ؟ ..... ص ١٣٤

- كل عاقل مؤمن ، ومَنْ لم يؤمن فليس بعاقل ..... ص ١٣٤
- واجب الرسل وواجب الناس، تقرير لشيخ الإسلام ابن تيمية حول هذين الواجبين ص ١٣٥
- عرض أسئلة الوجود الكبرى وأجوبتها من القرآن الكريم ..... ص ١٣٦ - ١٤٠
- خلاصة وجود الشر وسببه : لا ألم لا فوز ، لا محنة لا منحة ، لا شر لا خير ..... ص ١٤١
- علاقة معضلة الشر بتسلط الكنيسة الأوروبية أيام حكمها ..... ص ١٤١
- وزير فرنسا ومستشرقها لويس سيديو يعقد مقارنة منصفة بين حضارة الإسلام وممارسات أوروبا الكنسية الإجرامية ..... ص ١٤٢
- الوقفه ٨ : نداء إلى كل ملحد ومتأثر بالإلحاد ..... ص ١٤٣ - ١٥٠**
- جنة الدنيا التي مَنْ لم يدخلها فلن يدخل جنة الآخرة ..... ص ١٤٥
- أكبر دليل على وجود الله الخالق الحكيم ..... ص ١٤٦
- احتاطوا لأنفسكم أيها الملاحدة قبل أن يفجأكم الموت ..... ص ١٤٦
- حقائق جامعة عن الإلحاد وأهله ..... ص ١٤٧ - ١٤٨
- الوصول إلى الحقيقة لا يكون إلا لِمَنْ صدق في طلبها ..... ص ١٤٩
- ارجعوا إلى الله قبل أن تخسروه ، وعودوا إلى أصلكم قبل أن تفقدوه ..... ص ١٤٩
- خاتمة البحث بدعاء وابتهاال إلى الله تعالى ..... ص ١٥٠
- فهرس البحث التفصلي ..... ص ١٥١**

تم بحمد الله رب العالمين